

الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق

يعيش العقل العربي والاسلامى المعاصر أزمة العجز من ضبط نشاطه العلمى والحياتى على القبله الصحيحه، التى عرفها أسلافنا بفطرتهم وفقههم الدقيق لمعطيات النص القرآنى، فأسهموا بذلك فى خدمة النهضة العلميه، التى لم يكن يملكها ولم يتبها لها بناء عصر النهضة الأوربيهة إلا بعد وقوفهم على جهد ونتاج علمائنا المسلمين فى مختلف فروع المعرفة من أمثال ابن سينا، والرازى، وابن النفيس، وابن الهيثم والكاشى وغيرهم من أولئك الأعلام الذين كانوا يضبطون فكرهم على القبله الصحيحه التى لا تتجزأ عنها المعرفة، ولا يجوز عندها تقسيم الإهتمام بين ما هو من علوم الدنيا، وما هو من علوم الدين، وإنما تأخذ الكل بمنهاج واحد.. تكون فيه علوم الدنيا خادمة لعلوم الدين وصانعة للإيمان.. كما تكون فيه علوم الدين هاديه ومرشده لعلوم الدنيا، وضابطه لنشاطاتها على معايير الأخلاق والقيم وتحقيق الخير للإنسان، بما يكفل لها الهدى والرشد، ويحمى العلماء من غرورهم، بل ويحملهم على استنصار كل ما يحرزونه من نتائج مهما تكن أهميتها ماداموا يؤمنون بأنه «وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» فيواصلون المسيرة ولا تنقطع بهم الطريق.

وفى ظل هذا التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا فى اكتساب المعرفة كان من الماكوف لدى سلفنا العظيم من العلماء أن يصلى العالم منهم الصلاة المفروضه فى المسجد، ثم ينفلت إلى معمله أو مختبره أو مرصده ليؤدى صلاة من نوع آخر فى محاربي البحث والتجريب.. ومحراب العلم عندهم هو ومحراب المسجد سواء. ولهذا أبدعوا وأنتجوا وتركوا - فى تاريخ العلم والحضارة - آثارهم عظيمة وشامخة فتحت أمام عصر النهضة كل معالم الطريق. لكن هذه التكاملية فى طريق اكتساب المعرفة لم تتصل، بل تعرضت كما تعرضت الدولة الإسلامية لحالة من الجزر السياسى والثقافى والاجتماعى والعلمى، وبلغت الأزمة ذروتها فى القرنين التاسع عشر والعشرين حيث بات إعطاء العلمى فى ديار العرب والمسلمين عالمة على الآخرين من الغربيين.

وبدل أن تكون المعرفة شاملة علومى الدين والدنيا، حدث الانقسام الحاد بينهما، وظهرت الثنائية التى مالت بثقلها إلى علوم الدين، وكان لعلوم الدنيا أقل نصيب.

وشاعت إرادة الله أن يقيض لامتنا العربية والمسلمة فى النصف الأخير من القرن العشرين نفرأ من العلماء أويل العزم انتبهوا إلى ممكن العله فحاولوا انهاء حالة الانقسام بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وحاولوا من جديد إعادة وتأكيد الوشائج بينهما والعودة إلى التكاملية فى اكتساب المعرفة.

فاتجهوا إلى آيات الله فى الكون المنظور يدرسون إعجاز الخالق فيها - ويضعون بين أيدي المسلمين الفقه الصحيح لها ليكون ذلك مقدمة لفقه آيات الله فى الكتاب المسطور، استلهاماً لإشارة القرآن فى أول كلماته إلى الرسول ﷺ فى غار حراء، والتى انفتحت بها سورة (العلق).. «إقرأ باسم ربك الذى خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم».. حيث قَدَّمَ الأمر بالقراءة فى كتاب الكون المنظور على قراءة الكتاب المسطور.

وكان من الرعيل الأول لهذه النهضة أو لحركة الأحياء التصحيحية هذه المرحوم الدكتور محمد أحمد الغمراوي، والدكتور عبد العزيز إسماعيل، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل، والدكتور عبد الحليم منتصر، والدكتور أحمد زكي، ثم الدكتور جمال الفندي.. وغيرهم من الدين يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨.

وهاهو الأستاذ الدكتور عبد الهادي ناصر - الذي تلقى درجاته العلمية العليا من الاتحاد السوفيتي يوم كان ذلك الاتحاد معقل الإلحاد والفكر المنحرف..

هاهو يطالنا مُستحسبِ الإيمان شامخ اليقين تهديه بصيرته العلمية الشفافة إلى مواطن الإبداع والإعجاز في كل صنائع الخالق، فيخطو بشموخ على درب أولئك الرواد العملاقة، يراحم بمنكيه ليقول لنا ولهم: (اقرأوا كتابيه)..

وكتابه هذا سفر علمي ضخم يقع في جزأين كبيرين:

أولهما عن الكون في القرآن.

والثاني عن الإنسان في القرآن.

ولست أَعُو الحقيقة إذا قررت أن جهد المؤلف فيهما هو جهد موسوعي كبير استغرق ست سنوات من الاستقصاء والحصر والتبويب والترتيب.

وأهم عندي من الوفرة الكمية في مواد البحث وفروعة، تَلَكُّم السباحة في بحار الإيمان التي يكشف عنها قوله: (إن التعرض للكتابة في آيات النظر الكونية القرآنية - مغامرة وجرأة. الدال فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة.. ورجفة الكتابة في هذا المجال تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام.. فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها.. إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف الانتماء إلى الإسلام. وحسبي بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين).. ص ٢٠ من المقدمة.

ومما يجدر التنويه به هنا ذلك الإدراك الواعي للمؤلف بأن عمله هذا على ضخامته وجلاله ليس ولن يكون تفسيراً للقرآن الكريم، وهو بهذا يُجنب نفسه خطر الوقوع فيما سقط فيه بعض المشتغلين بمثل هذه البحوث حين زعموا أنهم يقدمون تفسيراً علمياً أو عصرياً للقرآن الكريم فتراه يقول لابنته: (لا يا بنيتي! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله، وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه.. وهو ليس بكتاب تخصص في علم الحياه.. جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب.. فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً.. وهذا العمل يا بنيتي! هو أقرب ما يكون للتبويب الموضوعي لآيات النظر في القرآن وفي الحياة قديمها وحديثها. ومستقبلها).

تقديراً وتحية للأخ الأعز الدكتور عبد الهادي ناصر.

وأسال الله أن يجعل في ميزان حسناته هذا العمل العلمي العظيم.

والله من وراء القصد وهو حسبنا،

دكتور عبد الصبور مرزوق

٢٢ من رمضان ١٤١٤ هـ مارس ١٩٩٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستاذ الدكتور ابراهيم البطاوي

تقديم

بقراءتى ومراجعتى لكتاب نظرات فى الكون والقرآن - مدارس علمية ايمانية للأستاذ الدكتور/ عبدالهادى ناصر نائب رئيس جامعة المنوفية خرجت بمحصلة أن للقرآن الكريم ثلاثة مظاهر أو تجليات وجودية:

١- المظهر الاول هو القرآن - كلام الله الحاكم للوجود بأسره، المعبر عن حكمة الخالق فيما خلق، وعن غاية هذا الوجود وأسراره، ودستوره، وقوانينه الكونية التى تحكم جميع الكائنات ما ظهر منها وما خفى، وتحدد الوسائل المثلى للإستثمار السليم لأنعم الله المسخرة للإنسان، ولضبط التعايش مع الآخرين بسلام.. تلك باختصار شديد هى شريعة الاسلام.

والقرآن بهذه المثابة هو كون الله المسطور:

٢- المظهر الثانى للقرآن - كونه مرآة للكون .. المحيط بنا، المنضبط على قوانين الوجود الالهية.. «ماترى فى خلق الله من تفاوت» .. وَعَبَّرَ الْقُرْآنُ عَنْ تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْكُونِيَّةِ بِدَقَّةٍ بِالْغَاةِ، وَبِطَابِقٍ مَذْهَلٍ لِلْعَقْلِ بَيْنَ الْفِعْلِ الْإِبْدَاعِيِّ وَالْقَوْلِ الْحَكِيمِ .. بما يجزم بالشهادة لله الخالق بالوحدانية .. ولسيدنا محمد ﷺ بالرسالة .. وكما قال قائل: (وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد) .. وجاء هذا التطابق اعلاناً بان الكون ماهو الا وجوداً ثانياً للقرآن «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى ولو جئنا بمثله مداد» ..

٣- ويظهر التحلى الثالث للقرآن فى النفس المؤمنة .. حين يبدأ الانسان التعامل مع أحط مراحل النفس البشرية فى النفس الامارة بالسوء - ثم يستمع إلى قول الله تعالى: «ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً» .. فيتكشف له الخطر فيما اقترب من آثام، ويصغى إلى دعوة الرب «توبوا الى الله لعلكم تفلحون» .. حتى يخترق النداء شفاف القلب والعقل وسائر الاحاسيس، فتبدأ النفس اللوامة حراكها فتملاً الانسان ندماً وألماً، ويفيق راجعاً إلى صراط الله المستقيم، ويردد فى السبعة عشر ركعة المفروضة قول الله تعالى «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فيلبى بالاجابة «آمين» .. ويبدأ التحول من الشر إلى الخير، ومن البعد إلى القرب، ومن الضلال الى الهدى، حتى يصير قرآناً حياً تتحرك به كل جوارحه وكل جسده تنفيذاً لأوامر الله .. فتبدأ حياته السعيدة ولو مع القل والكفاف «رضى الله عنه فرضى عنه» .. وصار يرى

نور الله في كل كائن من الخلق، يخاطبهم بالله ويعاملهم ويتعامل معه فيهم، فهو هداه وهو رحمته لانه ﴿دانم على كل نفس بما كسبت﴾^{١٠} فهنيئاً للعاملين بالقرآن في الدارين^{١١} هم حقاً في أمن وطمأنينة وصلاح بال في الحياة الدنيا، وفي الآخرة هم في مقام عظيم^{١٢} ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فارخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ صدق الله العظيم.

وتأخذ عند مؤلفنا الفاضل الكثير من المفاهيم مسارها السليم^{١٣} حيث بدأ يدرس ويصنف لسبع سنوات وهو الاستاذ الكبير وكأنه الطالب المجذ، به حماس الشباب بعد أن عرّك الحياة وطاف في عقول عُلمائها شرقاً وغرباً، وعاش كفارها ومؤمنها، وشرارها وكبار مصلحها^{١٤} وكانت له نظرتة الدقيقة الفاحصة، وعلمه الوفير، وخبرته الحياتية في طول البلاد وعرضها، وكأنه الفلكي الذي يجول بمنظاره في أرجاء الكون، وجوانب العلم والمعرفة، وفي خبايا النفس البشرية وسائر المخلوقات والتي أباحت له جميعاً ببعض أسرارها وخباياها في تناسق الهى بديع من الذرة الى المجرة^{١٥} وهذه السيمفونية سماها كاتبنا (منظومة الكون)^{١٦} ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾.

ثم أخذ مؤلفنا وراصدنا قلمه وقرطاسه وبدأ يدون مشاهداته تحت عنوان متواضع هو (نظرات في الكون والقران - مدارس علمية ايمانية) وهو يقول ﴿رب زدني علماً﴾ فكان هذا العمل الموسوعي الكبير الذي جمع شتات التخصصات والعلوم على مائدة القران، فحقائق كتاب الله كما يقول رائد علماء البحث في الكونيات استاذنا المرحوم الدكتور محمد الغمراوي صاحب (سنة الله الكونية) وصاحب (الاسلام في عصر العلم)^{١٧} الناشر دار الانسان^{١٨} والمرحوم عميد كلية الصيدلة مؤكداً ان القران هو المحك لما نصل اليه من معارف يحكم لها او عليها، ومن الجهل ان نجعل فشل معارفنا العلمية غير المستقرة محكاً للقران - فنقع في سلسلة من الباطل لاتنتهي، وأكثر الباحثين يذهبون إلى الاستدلال على عظمة الخالق بالنظر في عظمة المخلوقات، ويستدلون على وجود الله سبحانه بوجود خلقه - فيقعون في عيب عجيب؟! فكيف وهو الخالق الاعظم يستدل عليه بغيره؟! كما يقول الشيخ العظيم ابن عطاء الله السكندري في كتاب الحكم العطائية^{١٩} (بل إنى وجدت العتب والتقريع في المثل الذي ضربه الله في كتابه من سورة الفرقان الآية ٤٥)^{٢٠} ﴿ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾^{٢١} فجعل سبحانه الشمس هي الدليل على الظل، وليس العكس؟! لكن معارفنا محدودة، فلزوم الضوء وتدرجه دليلاً على الظل!! فذلك مقام الاكابر من العلماء العارفين!!

ويقيناً حقق مؤلفنا مكاسب ضخمة للباحثين وطلاب العلم والايمان في سفره هذا، ولكنه لايزال يطمع في المزيد، وهكذا شأن العلماء^{٢٢} ﴿وقل رب زدني علماً﴾^{٢٣} فلا يستطيع العلم ان يقول كلمة تعتبر نهائية^{٢٤} على حد قول السيد جيمس جينز الفلكي الانجليزي الشهير في خاتمة كتابه القيم الممتع (الكون الغامض)؟! ويتفرد القرآن وحده بأنه قوله الحق وكلمته النهائية، حجته وحدها راحضة لما

سواها، وكل ماخالفه من علوم او فلسفات فهو باطل. وشمل القرآن جميع جوانب الحياة والعلوم علمية كانت ام بلاغية ام كونية. ويتحقق هذا كله فى سور القرآن الجميلة، كما قد يتحقق ذلك باللفظ الواحد!! فشمّل حقائق تنوء بها عشرات المجلدات. حقاً إنه لقول فصل. وعلى سبيل المثال. أكد القرآن ذلك كله فيما ذكره قبل أربعة عشر قرناً حيث اورد ان اصل الامطار من ماء المحيطات والمسطحات المائية، التى تتوفر فيها عوامل الحفظ والوقاية من طحالب وأملاح لحماية الكائنات الحية التى قوام حياتها الماء. من انسان وحيوان ونبات. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حياً﴾. وبإيجاز سريع آخر نجد أن القرآن سطر اصل الماء العذب على أنه من ماء الارض أياً ما كان، ومن هبوب الرياح فى عملية التبخير. فى برزخ المرج وفصل الماء العذب الصالح للحياة من ملح وطحالب وغير ذلك ﴿مرج البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحماً طرياً﴾. وذلك وغيره من حقائق عديدة جاء فى وصفه واحدة كما فى قول الله سبحانه ﴿والسماوات ذات الرجوع﴾. والرجع هو المطر، صعد بالتبخير وعمليات معقدة معروفة فينزل الحق سبحانه على من يشاء، ويمنعه عن من يشاء، وصلاة الاستسقاء التى يُنزل بها سبحانه المطر استجابة لدعوة المضطرين من المؤمنين خير شاهد على أن الله وحده المتصرف فى الكون ولا شريك له من ابن او زوجة. سبحان الله!!

تلك المنظومة القرآنية الكونية بهرت عالمنا الدكتور المهندس عبد الهادى ناصر المتخصص فى تصميم الماكينات وتكنولوجيا هندسة الآلات والمصانع والانتاج والرياضيات وعلوم الحضارة. حين وجد كل ما علمه البشر، ومالم يعلموه مسطوراً فى القرآن فبدأ يعد لنا وللآجيال القادمة نظراته فى الكون والقران والانسان فى هذه التجليات القيمة، التى شملت أغلب حقائق الوجود. وصدق الله العظيم إذ يقول. ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شئ﴾.

إنه توحيد بلسان عالم متحضر متخصص مؤمن. ولا يغنى عنه كل ما وصل اليه الانسان من معارف حضارة الغرب، والتى مازالت تمتزج بخرافة الاعتقاد والاحاد المادى الرهيب!!

وبرغم ما اتسم به الرجل من عمق وفهم دقيق ففیه تواضع العلماء من بساطة تميزه عن كثير من العاملين، حتى بسطاء الناس، ذلك انه قرأ فى منظومة القرآن الاية ﴿رب زدنى علماً﴾. فهو لا يزال يعمل ويقسو على ذاته متجاوزاً زمانه، وعقبات جسام صادفته فى الحياة فكافاه الله بهذا العطاء.

وكنّت أود أن أشير الى عناصر حساسة جداً فى الموسوعة، فهى الزاد الكثير من الباحثين والشباب، ولكنى توقفت بعد ان جمعت حشداً هائلاً من الحقائق والاشارات العلمية فى الكون والقران. حتى لا احول بين قارئى من سياحات رائعة فى ارجاء الكون بين ما استطاع يجمعه مؤلفنا بين يديك عزيزى القارئ من علوم لها أصولها فى دستور الكون. القرآن والسنة. فى انجذاب صوفى محبب الى النفوس، ولكن من حقل على ياقارئى ان تعلم امرين:

أولهما ان تقنية وحضارة الاسلام وردت فى اوامر الله لكل عبد مؤمن فى مقام الاحساس، والذي اوضحه النبي ﷺ فى أوامره... ﴿أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك﴾ .. ان تراقب الله فى كل فعل، او قول، او فكر يصدر عنك... فتتقنه تنفيذاً لامر ربك ﴿واحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾. ويضاف أنه على التقنية الاسلامية قامت اعظم حضارة فى تاريخ البشرية بشهادة خصوم الاسلام انفسهم بان حضارتنا تقنية لتوحيد وعدل وحق وصدق خالص... حضارتنا مغايرة تماماً لحضارة الفحش والزنا والشذوذ وظلم الضعفاء وعبودية الشهوات... اخذوا خير ما عندنا من تقنية لديناهم؟! وصاغوا حضارتهم بالاستعانة بمنهج الخير والعدل منهج رب العالمين ورسوله الكريم...

أما نحن فأهملنا التعامل مع قوله سبحانه ﴿استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحيبكم﴾ وبداهة فإن حضارة الاسلام تقوم على العدل والرحمة والايثار، واداء حقوق الحياة لكل عاجز بغير عَوْض... فى الزكاة والصدقات والبر من كل خير، والبعد عن كل شر ورذيلة... انها الصدق الذى يتمثل فى عظمة تقنية حضارة الاسلام ﴿الاله الدين الخالص﴾

والامر الثانى ترسخ فى ان حلول مشاكل المجتمع الصناعى لن تتأتى إلا على اساس العدل الاسلامى؟! .. حيث تمكن كثير من الباحثين والعلماء فى كل التخصصات التقنية الحضارية والمعارف الحديثة حيث تقابل فى عدة مؤتمرات جمع من متحررى الغرب من العلماء وجمع من شباب الباحثين وعلماء المسلمين وقدموا جميعاً... وبما يشبه الاتفاق؟!... كتباً واوراقاً وبحوثاً ووجدوا جميعاً ان القران الكريم هو الكتاب الوحيد الذى سبق كثيراً من البحوث والاكتشافات باعجازه، وقرروا انه لاخلاص للعالم الا بتحرير مسيرة الاسلام لتقدم للعالم مالدنيا من خير وامن ومنهج حق للسلام والانسان!!

الصحة بدأت بين المسلمين، وبدأ جمعهم يفيق، وإن جولة الظلم لن تدوم... فالى المزيد من العلم والتقنية والحضارة المستمدة من خَلْقِ الله وتدبيره ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾... ﴿الاله الخلق والامر﴾... ﴿ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز﴾...

وما كتابنا هذا الا جهداً مشكوراً بلغة التقنية والعلم والايمان على طريق حضارة الاسلام والسلام...

• د ابراهيم البطاوى •

فى ٢٧ رمضان المبارك سنة ١٤١٤هـ •

مصر الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

فضيلة الشيخ أحمد صالح

الحمد لله: وسع كل شئ علماً، علم الإنسان مالم يعلم، وشرف أولى العلم فجعلهم فيه درجات، وفوق كل ذي علم عليم.. ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

ونصلي ونسلم على سيدنا ونبينا محمد ﷺ عبد الله ورسوله وصفيه وخليته: علمه الله الكتاب والحكمة، وعلمه مالم يكن يعلم، علمه الله العلم الأول والعلم الآخر، وآتاه القرآن العظيم ومثله معه.. فكانت معجزته العلمية والعقلية في فيه قرآناً عربياً وحكماً إلهياً.. ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾.. رفع الله به أقواماً أخذوه بقوة فسعدوا وسادوا، وخفض به آخرين اتخذوه عاراً وهزواً ولعباً فشقوا به، واستعلى عليهم أعداؤهم وتقلص سلطانهم، وعلقوا المصحف للعنكبوت والتراب، واستغنوا عنه بالروايات فضلوا، وأضلوا. والقرآن العظيم كتاب استجمع حقائق الأزل والأبد، واستوفى من هدايات السماء والأرض مالم يتوفر لكتاب سابق.. ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾.. وما عداه من كل الكتب بجواره لاشئ.. لأنه كما قال مُنَزَّلُهُ: ﴿مصدقاً لما بين يديه ومهيماً عليه﴾.. إنه دستور هذه الأمة المسطور والمقروء. إنه ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة، ودائرة معارف للتشريع والأحكام، ومعلم لمن أراد أن يقوِّم لسانه.. بل هو كتاب العلوم المُحكمة وما زاد عنه فهو نافلة.

يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا كُلَّمَا زِدْتَهُ نَظَرَ

وليس في العالم الآن ومنذ بعثة خاتم النبيين كتاب مقدس تصح نسبه إلى ذي الجلال والإكرام إلا هذا القرآن العظيم صانه الله رب العالمين من التحريف والتبديل، ولم يتوفر ذلك للتوراة، أو الإنجيل.. لأن أهل التوراة استحفظهم الله فلم يحفظوا، وأهل الإنجيل لم يكونوا أحسن حالاً من أهل التوراة.. وجمع هؤلاء هؤلاء بقولهم الأسفار الخمسة.. وضاعت توراة موسى إلى الأبد.. كما ضاع انجيل عيسى إلى الأبد، وعند القوم خمس وثلاثون نسخة من الأناجيل.

١ - فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي يحمل إلينا وحي السماء الصادق

فيقول تعالى: ﴿انانحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾، وهو أساس العلوم كلها، والقرآن والسنة النبوية هما مرجعية مطلقة لكل علم.. وفي ذلك قال علماء السلف فقد قال إمام دار الهجرة الامام مالك: (لا أعلم شيئاً يحتاج إليه وهو في الكتاب والسنة). ولقد أتاح الله تعالى لي فرصة مراجعة كتاب:

نظرات في الكون والقرآن

(مُدارسة عقلية إيمانية)

للباحث الدكتور عبد الهادي ناصر.. نائب رئيس جامعة المنوفية، ولقد سعدت في هذه المراجعة في روضة إيمانية سعادة غامرة تذكرت قول نبينا محمد ﷺ .. ﴿يحمل هذا العلم من كل خلف عدول، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين﴾. والكتاب بجزأيه دائرة معارف اسلامية يُسعد الخاصة من العلماء الراسخين، وقد يضيق به أنصاف المتعلمين، ويتبرم به الملاحدة العلمانيون ممن لا تعمر قلوبهم بحب هذا الدين.

ولقد بذل المؤلف - رضي الله عنه - جهوداً خارقة فقد عاش لهذا الكتاب شبابه وعمره يرتب الأبواب والفصول في حلقات متماسكة، وقدم للناس في سهولة ويسر عطاءات القرآن في كل القضايا، كما قدم نصوص السنة النبوية، وساعده على هذا إمكانياته الهائلة في بحوث الكمبيوتر.. فهو يأتي بحشد كبير من الآيات الكريمة في كل موضوع.. والكتاب فريد في منهجه وتبويبه وإخراجه.

٢ - والكتاب عمل كبير، يسد فراغاً في المكتبة الإسلامية، يؤجر عليه صاحبه في ضوء قوله ﷺ: ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له﴾.

كما نُحَيِّ الباحث فقد أشرك أسرته: زوجته، وولديه وأبنته في حوار مشوق في إثراء مسائل هذا الكتاب.. يعلمهم آيات الله والحكمة.. والأسرة المسلمة أساس لبناء المجتمع الصالح.

ولو أن المؤلف أعاد النظر في النظرات لزاد!.. ورحم الله العمار الأصفهاني فقد قال: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال عنه في غده لو غَيَّرُ هذا لكَانَ أحسن، ولو زيد كذا لكَانَ يُسْتَحْسَنُ»

وصدق الأصفهاني فهذه طرائق علماء البشر فهم يحتاجون مهما أوتوا من علم إلى إضافات وتعليقات وتصويبات.. فعندهم طبعة ثانية، وثالثة - مزيدة ومنفحة.. أما القرآن الكريم فقد قال الله فيه: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافاً كثيراً.

والمؤلف - رضي الله عنه - كان موفقاً حيث فرق بين العلم الرباني المعتمد على القرآن وصحيح السنة فأثبت لهما المرجعية المطلقة لكل العلوم. أما العلم البشري فمبني على افتراضيات تخمينية، لا يكتسب حجية إلا إذا وافق القرآن والسنة. وقد ثبت في سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿إنما العلم ثلاثة وما زاد على ذلك فهو نافلة آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة﴾.

فالعلم سماوي المصدر، إلهي المنبع، قرآني الإسناد، نبوي السلسلة - وما وراء ذلك فعلم بشري لا يصل إلى مرتبه اليقين، أو علم اليقين، أو حق اليقين.

٣ - وفي ضوء كلمة العمار الأصفهاني السابقة وطلباً للأحسن تُسجل بعض الملاحظات:

١. يورد المؤلف العديد من الآيات في الموضوع الواحد، لزوم التصنيف الموضوعي، وقد تنفرد آية عن أختها بلبقة ضوئية زائدة!.

ب. أناشد المؤلف - عافاه الله - أن يكون طبع هذا الكتاب أنيقاً بحروف واضحة على ورق جيد يتسنى قراءته لكل ذي عين.

٤ - إني أقدر للمؤلف - رضي الله عنه - ما بذل من جهد التحقيق والتدقيق. وعلى سبيل المثال فقد تعرض لقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم* الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق-٥) فقال فالفهم صحيح للقران الكريم يلزمنا أن نقرأ قراءتين: نقرأ الكون في القران، ونقرأ الحياة في الكون والقران. نقرأ لتتعلم جواهر الأشياء قراءة متكاملة كلية. وهناك قراءة ثالثة نحن مكلفين بها هي قراءة الحروف، نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف الإنسانية. والقراءات الثلاث - قراءة الكون، وقراءة الحياة فوق الأرض وتحت الثرى، وقراءة الحروف - وجوه متكاملة لفقه الحياة.

وفقه الحياة هذا أساس لاغنى عنه يتكامل مع فقه العبادات وبالفقهين معا يتكامل الفهم الصحيح للرسالة الإسلامية التي جاء بها النبي العربي العالمي في دعائه ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

ولا مدخل لهذا الفقه المتكامل إلا بتعلم اللغة العربية. لغة القرآن ولغة نبي القرآن. لتكون لغة التعليم، ولغة التخاطب، والرسائل. ولقد أسأنا المعاملة مع لغة القرآن بالترك والإهمال. فتفشى الهبوط إلى العامية حتى فقدنا التذوق لفهم

هـ - ومن عجب أن الأمة الإسلامية لها رصيد ضخم في فقه العبادات والفروع، بينما هي في فقه الحياة تعيش فقيرة بخجل تستورد الثقافة والغذاء.

وقد عالج المؤلف في الباب الثالث الفصل الثاني تحت عنوان (البحار والحياة في القرآن) وكأنه يعتب على أمة القرآن تخلفها الرهيب في استخراج خيرات الله من البحار. فالبحر مستودع غذاء الغد، والبحر مشارك أصيل في الحياة على كوكب الأرض، وذكر أن دراسة البحار ضد الخوف والجوع فريضة اسلامية، فإذا قلت المنتجات الزراعية على يابس الارض - وَجَبَ أن نتجه للبحار لنستخرج ما فيها من طعام وغذاء وكساء ومعادن وخيرات.

وجدير بالذكر بأن نوجه الأموال التي تنفق على أبحاث الفضاء لحل مشاكل استخراج الطعام من البحر صماناً لبقاء الجنس البشري، وحينئذ لا نشكو قط من الانفجار السكاني، مع أننا لم نستصلح كل الأراضي للزراعة.

والقرآن الكريم حافل بالآيات الداعية إلى الأكل من صيد البحر وطعامه ﴿لَتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ فقد قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِي فِيهِ سُرُورًا﴾ من فضله ولعلكم تشكرون ﴿فَلَوْ أَنَّا قَمْنَا بِتَحْصِيلِ الْغَدَاءِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبَحْرِ لَأَكَلْنَا مِنْهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكَانَ الْجَزَاءُ لَكُم مِمَّا كَسَبْتُمْ مِنْهُ لَئِنِ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مع استغلال خيرات وموارد البحر كذلك ما رأينا المجاعات تهدد كثيراً من الدول النامية!! من هنا فإن تعطيل نص واحد من كتاب الله جريمة في حق هذا الدين؟!

وهكذا كلما عشت مع بحوث هذا الكتاب ترى الأرض واحة إيمانية، وأن الإسلام دين عمل، دين يرفض الخرافة، ويحارب الرزيلة.

بارك الله في جهد المؤلف الذي طاف بقضايا الكون دراسة ميمونة إيمانية ملتزماً بفقهاء القرآن والسنة ﴿ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين﴾ فجزاه الله عن دينه ونبيه خير الجزاء،

أحمد علي صلاح

من علماء الأزهر

- شبين الكوم ٢٤ من المحرم ١٤١٤ هـ - ١٤ يوليو ١٩٩٣ م

سيادة الاخ الفاضل د. عبد الهادي ناصر.

على إمتداد أكثر من شهر وأنتم معي من خلال كتابكم المذهل المُثير.

ولا أدعى إن قلت اننى فى كثير من الاحيان كنت أناقشكم فى موضوع الكتاب فأسمع منكم تعليقا عليه. وكان هذا التعليق يفتح أمامى أبواباً جديدة من الرؤية البصرية والعقلية حول هذا الكتاب. وللحق كانت رحلتى معه رحلة ممتعة للغاية. كان إسراء تعرفت من خلاله على منظومات الكون وأسرار القرآن. فأشكر الله العزيز الحكيم الذى مَنَّ علينا بهذا. وما كان ليوجد لولا أراد الله. وأشكر لك ثقتك بى، مع أن التجربة مع الكتاب أثبتت أنه أكبر من أى تقديم. فبما فيه من عفوية حينا. ومباشرة فى معظم الاحيان هو أعز من أى كلام يقال فيه. فدَعَهُ يُقَدِّم نفسه فكفى بالقرآن تقديماً له. وكفى بالكون شاهداً عليه.

وهذه الوريقات السبع المرفقة ماهى إلا نظرات على النظرات. وهى قاصرة قصوراً شنيعاً أن تصل لمدى غايات هذا العمل الإيمانى العظيم. ولذلك أرجو أن تسامحنى عن هذا القصور لا التقصير. فما قصرت فى حق الكتاب. فقد قرأته حق القراءة واستوعبته حق الاستيعاب، وبقدر الجهد والطاقة. ولكن الكتابة فيه وعنه أجهدتنى كل الجهد. وكتبت فيه عشرات الأوراق. وسودت فيه أجندة كانت كلها بيضاء. ومع ذلك أكتشف أن الكتاب بشكله وملامحه وطريقة السرد فيه هو مراد الله. لأنه بمثابة آية ﴿اقرأ﴾ الأولى فى القرآن الكريم. فلنقرأ!!! فلا تأتى إلا بهذا الشكل لتشد إليها الأذهان. وتستقر الابواب.

فظنى كل الظن أن كتابكم هذا (على ضخامته) بمثابة القطر الذى يسبق السيل. أو قل العلامات التى على الطريق لتحديد المعالم. أو قل الفهرس الذى سيهدى الباحثين إلى قصدهم حينما يقصدون. وإنى لأرى أن هذا هو المستقبل! وأن هذا هو معالم الطريق إليه! وكفاك شرفاً أنك أنت الرائد الذى ذهب إلى هناك وعاد ليروى لنا ما رأى! صحيح قد تختلف الرؤى فى المستقبل. وقد تأتى الدراسات المتخصصة بجديد من القول فى العلوم والقرآن. والحق أن كل ما قيل فى القرآن الكريم حتى الآن كان صحيحاً، ويبقى أبداً كذلك. فكلما تحركت ثقافة الانسان كان التحرك مع القرآن صحيحاً. فطوبى لك بما قدمت من جهد. وما أجرك إلا على الله رب العالمين.

وفى الختام تقبل تحياتى وأشواقى وحبى وسلامى إلى أفراد أسرتم الصغيرة الطيبة، التى أمتعتنا صحبتها خلال رحلة هذا الكتاب، فى مدرسة عقلية علمية إيمانية قرآنية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* عم يتساءلون* عن النبأ العظيم* الذي هم فيه مختلفون* كلا سيعلمون* ثم كلا سيعلمون﴾ النبأ.

- عنوان مثير، وموضوع خطير، وتوقيت قَدْرٍ ومصير، كان هذا هو انطباعي الأول حول كتاب الأستاذ الدكتور المهندس/ عبد الهادي ناصر (نظرات في الكون والقرآن)٠٠ مَدَارسة عقلية علمية إيمانية.

صحيح أن للكتب ملامح وقسمات كوجوه البشر سواء بسواء٠٠ وعناوين الكتب هي وجوهها التي تراها وتحكم عليها من قبل أن يتكلم الكتاب عما يحتويه، وعنوان هذه الكتاب مثير كملحه، شيق كسطوره، متدفق كنهز عظيم، كثيف بقدر ما في الكون والقرآن من عناصر ومعاني تفوق الحصر، ولذلك فقد اختار المؤلف أن يعالج فكرته عن الكون والقرآن من خلال (نظرات) وهي في اللغة جمع (نظر)، وهو إما البصر بالشئ، وتأمله عن طريق العين، وإما البصر بالشئ، وتأمله عن طريق العقل٠٠ وكلاهما رؤية خاصة تتوقف على عدة مقومات أساسية في الناظر من ناحية وفي الشئ المنظور فيه من ناحية أخرى، ومن ثم يختلف النظر من شخص إلى شخص، وتتباين الرؤى من عقل إلى عقل.

○ ونظراً لحساسية موضوع الكتاب، ودرقة الموضوعات المطلوبة فيما يتعلق بالكون أو القرآن كان إختيار الكاتب للدخول على موضوعه باسم (النظرات) فيه مايعفى من كثيرٍ من الحرج، إذا لم يتفق معه القارئ في الرأي!!٠٠ وفيه مايمنع من المجادلة في النظر، إذا لم يجد هوى لدى علماء الشرع، أو لدى علماء العلوم الحياتية التي سوف يتعرض لها الموضوع بالضرورة، فكلمة (النظرات) تخرج بالكتاب الذي بين أيدينا من نطاق العلوم الشرعية٠٠ وتبعد به عن نطاق العلوم التجريبية٠٠ ولا يبدو أنه إجتهد في نصوص القرآن بالمعنى الضيق للإجتهد - وإنما أقصى ما يوصف به هذا الكتاب هو أنه فتح من الله ونصرٌ مبيِّن، فما أشد حاجتنا إلى مثل هذه الدراسة في هذه الأيام كما سنوضح فيما بعد٠٠

○ ولعل أهم دواعي الإثارة في العنوان، وبالتالي الخطورة في الموضوع هو إشتمال الدراسة على محورين لاحدود لهما!!٠٠ وهما الكون العظيم٠٠ والقرآن الكريم٠٠ يتبعهما بدراسة تصنيفية موضوعية عن الانسان في القرآن٠٠

○ ولندرك مدى خطورة موضوع الكتاب نحاول أن نتعرف على الكون والقرآن٠٠ ثم نتفهم دواعي التوقيت من خلال المناخ الثقافي لعالم أواخر القرن العشرين٠٠ ونعين القارئ بفكرة مسبقة عن قضية القرآن في الكون، وهي قضية وأردة في صلب الكتاب، تلقى عليها بعض الشئ من الضوء مما يساعد على تقدير قيمة هذا الكتاب، وما يمكن أن يقدمه إلى الاسلام من فائدة تعادل غزوة من الغزوات في عهد النبوة، أو في فترات الاستنهاض الحضاري الاسلامي

اللاحقة ٠٠ وحتى تتوخى الصدق والحق فإن القرآن هو الذى يغزو بنفسه، وهو دائماً كان يختار معركته ويخوضها بينما المسلمون فى ضعفٍ مُميتٍ ٠٠ كضعفهم فى هذه الأيام.

○ ولكى نتعرف على الكون أكثر فسوف نعرض بالاضافة إلى ما بالكتاب من شرح مذهل إلى آخر ما توصل إليه علماء الفضاء من معلومات جديدة فى عام ١٩٩٣، وهى معلومات إن لم تكن تفيد فى تصوير حجم الكون، فعلى الأقل سوف تفيد فى تصوير حجم الفكرة التى يناقشها الكتاب، وتوضح أنها فكرة ينخلع لها قلب الرجل الجسور!!

○ فأخر إصدارات عن الكون كان إصداراً أمريكياً بنفس الاسم (الكون) للفلكى الأمريكى (كارل ساجان)، وبه معلومات مذهلة عن الكون يقول فيها: (إن الكرة الأرضية التى نسكنها ماهى إلا شاطئ صغير ضحل على أطراف المحيط الكونى. وان معلومات الانسان عن هذا الكون لاتتعدى وصول الماء إلى أصابع الأقدام. واننا لانملك ارتياد هذا المحيط إلا من خلال عقولنا. ثم ان البشر ماهم إلا حفنة من مادة النجوم تتأمل النجوم ذاتها!!)

○ وفى دراسة أخرى حديثة يعلن العالم الاسكتلندى (مايك هوكنز) أن الكون ليس نهائياً!! ٠٠ إذ تبين له بالمتابعة وتحليل الصور التى حصل عليها من مرصد استراليا وانبرية ان الاجسام المُعتمة فى الكون. وهى تمثل ٩٠٪ من الكتلة المفقودة للكون تحتوى على قدر كبير من الكثافة يكفى لوقف تمدد الكون فى وقت ما فى المستقبل ثم تبدأ بعد ذلك الانكماش والتقلص ليعود الكون إلى نقطة البداية ثم يولد حركة معاكسة لحركة الانفجار العظيم الذى نشأ الكون نتيجة له منذ ٢٠ مليار سنة فينفجر الكون من داخله وتكون النهاية كما كانت البداية. وفى أبريل من عام ١٩٩٢ أعلن فريق من علماء الفلك الأمريكيين اكتشاف بذرة المادة الاصلية التى نشأ منها الكون فى الفضاء السحيق وهى ظهرت للوجود بعد ٣٠٠ ألف سنة من الدوى العظيم الذى صاحب خلق الكون.

○ وما عرضنا لهذين النموذجين من الاكتشافات الكونية إلا لنؤكد على حقيقة أساسية وهى أن المعلومات عن الكون لازالت ضئيلة للغاية، وأهم ما توصل اليه علماء الكون بعد جهد جهيد تُنسب الي ماقاله القرآن عن نشأة الكون، ثم أخيراً عن نهايته. وبالمنطق الرياضى البحت إذا ما ثبت بالبرهان العملى صحة البداية، وصحة النهاية، فإن ما بينهما يكون بالضرورة صحيحاً. ومن ثم كان ماذهب إليه المؤلف عن أن القرآن هو كتالوج الكون قول صائب تماماً ٠٠ ولكن قراءة هذا الكتالوج هى التى تحتاج إلى نوعية خاصة من الرجال، من أمثال مؤلف هذا العمل الضخم!! ٠٠ فالمسألة لاتتعلق بالكون بقدر ما تتعلق بالقرآن!!، ولا تتعلق بالقرآن بقدر ما تتعلق بمن يبحث فى القرآن!! ٠٠ لأن القرآن لايفصح عن أسرارهِ الكبرى إلا للراسخين فى العلم، والراسخون فى العلم فى يقينى أنهم هم الذين لديهم طرفاً من علم الأسماء كلها. التى علمها الله لأدم يوم مشهد العرض العظيم

فى قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم﴾. والعلم الالهى الذى علمه الله بنفسه تعالى لآدم من الطبيعى أن يكون هو كل العلوم اللازمة لحياة الانسان على الارض بشقيها المعنوى والمادى. ولذلك فان فكرة الدين موجودة فى الجماعات البدائية بشكل يقترب من الدين الصحيح!!، فما تفسير ذلك إلا أن الانسان قد جبّل على التدين لأن العلم فى ذلك ثاو فى نسيج الخلية الانسانية، منذ الخلق الاول لآدم ﷺ.

○ والرأسخ كما جاء فى معجم (مختار الصحاح) هو الثابت. فكل ثابت رأسخ. ومن ثم نعود الى الراسخين فى العلم - فهم فى ضوء ما أعتقد هم الذين ثبت فى خلية الذاكرة لديهم علم الاسماء. ذلك العلم الالهى عن كل شىء. (الاسماء كلها). أما الافعال فلم يكن آدم فى تلك المرحلة فى حاجة إليها بعد. ولأن الله عزّ وجلّ يقول عن القرآن ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾. ويقول أيضاً: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شىء جدلاً﴾. فلا شك أن علم الاسماء كلها وارد فى القرآن ﴿من كل مَثَل﴾. ولا شك أن الناس فى الكون من آدم، وأن آدم فى كل الناس، ولكن بدرجات متفاوتة. فأنظر قول الله تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾.

○ ومن هذا المنطلق فان اعجاز القرآن ليس محدوداً، وانما هو كما وصفه النبى ﷺ بقوله: ﴿القرآن لاتنقضى عجائبه ولا يخلق (أى يقدم) على كثرة التردد﴾. ومن عجائب القرآن تلك الخاصية الفريدة التى تنهض به للدفاع عن الاسلام كلما ضَعَفَ المسلمین، وخبثت جذوة نارهم، وظنّ الناس أنهم كهشيم الارض!؟

○ فعندما كان المسلمون فى بداية الدعوة يتوارون بدينهم من الضعف والهوان كانت نصوص القرآن هى التى تحارب جيروت الكفر وطاقوت الطغيان بنفسها فى تحدّ عظيم فاننلر إلى قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾. الإسراء. وكان لها النصر فى كل المعارك التى خاضتها. حتى أن الكفار من قريش كانوا يخشون على أنفسهم من سماع هذه النصوص الساحرة البيان فيضعون أصابعهم فى آذانهم عند سماع القرآن. بل كان الاستماع الى القرآن جريمة من الجرائم الكبرى يعذب مرتكبها اشنع العذاب. ويكفى دلالة على انتصار النصوص القرآنية أن من اشتهروا بالبلاغة والفصاحة وسحر القول عجزوا عن الاتيان بمثلها. وان واحدة من هذه النصوص بمفردها هزمت أشد رجال قريش قوة وشكيمة. فما كان لعمر بن الخطاب أن ترهبه القوة. ولا كان لمثله أن يسلم إلا كما أسلم مهزوماً من بضع آيات من القرآن الكريم وجدها فى بيت أخته المسلمة!؟

○ ولعل من أهم عجائب القرآن تلك الكثافة الهائلة الغير محدودة الكامنة فى

الفاظ القرآن فاللفظ القرآني قضية مذهلة في الوجود. فالجرس له لغة ذات خصوصية. واللفظ الواحد يحتاج الى معجم لتعداد معانيه وتبراً غوار مدلولاته المتدفقة دوماً. والعبارة كونه تسبح فيه مجرات وسدوم. ولذلك فانه وان كان عربي اللسان إلا أنه يختلف عنه إختلافاً جذرياً عن بلاغة العرب. فإذا كانت البلاغة في اللغة تقاس بانسجام اللفظ مع المعنى فلا يزيد اللفظ عن المعنى، أو يطغى المعنى عن اللفظ - فيحدث انفصال يؤثر على سلامة اللسان، فإن اللفظ في القرآن يحتشد خلفه قوى طاقة هائلة من المعاني تصلح لكل زمان ومكان بحيث يصبح كل استنتاج له وجه صحيح. ومن ثم يستطيع الأمام البسيط أن يخرج من القرآن بمعان من صلب الايمان والمنهج. ويستطيع العالم في كل فرع من فروع العلم أن يجد في القرآن ما يصادف علمه ويوافق ثقافته. وهذا هو سحر القرآن. وسر القرآن. وعظمة القرآن. وتأمل قول الله تعالى في سورة المزمل: ﴿يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلاً، نصفه أو انقص منه قليلاً، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً، إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾. وقد فسر الامام النسفي ﴿قولاً ثقيلاً﴾ في تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ان القول الثقيل هو القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، أو ثقيلاً على المنافقين، أو كلام له وزن ورجحان ليس بالسفاسف الخفيف. وهو تفسير صحيح!! ولكن في زمن انفجار الذرة عن طاقة جبارة كامنة فيها. تكون رؤية القول الثقيل مختلفة تمام الاختلاف خاصة وأن القرآن قد عنى بالحرف وصدر به بعض السور تأكيداً على أن القوة الهائلة في القرآن هي من وفي هذه الحروف!! وهي أسماء مجردة مثل (الم. ألف لام ميم). ومن هذه الاسماء المجردة كان القرآن. وكان العلم. وكان التعليم. ولأن الله هو المعلم الأول للإنسان. فالعلم كل العلم كائن في هذه الأسماء. وكائن في نسيج الإنسان نفسه، بحيث لا يكون التعليم الثاني إلا تذكراً للتعليم الأول، ولعل هذا هو سر إلحاح القرآن وتأكيد المستمر على التذكر ﴿أفلا تذكرون﴾ لأن القرآن هو علم الأسماء كلها التي علمها المعلم الأول لآدم ثم عرضهم على الملائكة وقال: ﴿انبنوني باسماء هؤلاء﴾. ونجد المعنى الذي أشرنا إليه آنفاً في قوله تعالى في أول سورة الرحمن: ﴿الرحمن، علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان﴾. فاقتران الآيات التي فيها خلق الانسان وتعليمه البيان (يوم الخلق والعرض على الملائكة) بتعليم القرآن من الرحمن أمر يوحي بأن القرآن والبيان هما أمر واحد أولاً وأخيراً. ومن ثم ينسجم المعنى مع قوله تعالى: ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾. والآلاء هي النعم. وليس هناك نعمة أعظم من العلم!! وأعظم من القرآن!!

وإذا كان القرآن قد استهل نزوله بقوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾ وكان النبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن لا يقرأ ولا يكتب. وكان العرب في معظمهم أميون. فلا بد أن هذا الأمر بالقراءة يستوجب الانتباه ويهز السامع من

الأعماق!! هذا فى الوقت الذى كان فيه القرآن قد ظهر بعد٠٠ فكيف يتأتى الأمر بالقراءة فيما لم يصبح له وجودٌ بعد؟! إلا أن يكون الأمر بالقراءة صادرٌ على موجود بالفعل٠٠ مكانه ذاكرة الانسان!!٠٠ ومحل علم الاسماء كلها!!٠٠ ونطاقه كل ما فى الكون من معارف لما كان وما سيكون إلى أن يرث الله الأرض وما عليها٠٠

○ ولادراك الخصوصية الحضارية الفعالة للقرآن، وقدرتها الفائقة على تحدى الانسانية بهضم كل العلوم والمعارف السابقة على نزوله، وموقفه فى مواجهة ما يستجد فى الزمن من تطور ثقافة الانسان٠٠ نسترجع غزوات القرآن الحضارية منفرداً فى مجالات الثقافة ورنيا العلوم بإيجاز شديد٠٠٠

١٠ كانت الغزوة الأولى للقرآن فى مجال لغة العرب، فتحداهم فيما ظنوا أنهم قادرون عليه فتفوق على ثقافة العرب الوحيدة، وهى ثقافة اللغة العربية، فرماهم بالقول الثقيل الذى لازال يكشف روحه مع كل قراءة وكأنه نزل فى الحال!!٠٠٠

٢٠ كانت الغزوة الثانية للقرآن على نطاق ثقافة الغرب التى تمثلت فى العلوم اليونانية القديمة من الفلسفة والمنطق وما يندرج تحتها من علوم الفلك والرياضة والطب والهندسة، فقد كان القرآن فى عرضه لقضية الايمان أكثر منطقاً من المناطق أنفسهم فأذرى ببضاعتهم، وكان متجاوزاً لكل العلوم الاغريقية من الاساطير فيما عرض من قصص القرآن الحقيقية، وكان يحمل منهجا وفكراً متوازناً فى كل حرف من حروفه٠٠ متصل النفس بحيث لا أثر للضعف وإنما حروفه متوهجة على الدوام٠٠ وكان من الطبيعى أن تعرض الفلسفة الاغريقية نفسها على القرآن فى عنقوان عصر الترجمة، فما كان من القرآن إلا أن احتوى الفلسفة وسخرها فى خدمة الشريعة الإسلامية وقيام المذاهب الكبرى التى لجأت إلى أساليب المنطق اليونانى فى استنباط الأحكام من النصوص الكلية!!٠٠٠

٣٠ كانت الغزوة الثالثة للقرآن على مستوى القانون والشريعة٠٠ فمن المعروف أن العرب فى أوائل القرن السابع الميلادى لم تكن لديهم غير ثقافة اللغة، وكان القانون السائد هو العرف والنظام القبلى٠٠ ولم يكن لديهم معرفة بالقانون بمعناه الفنى٠٠ بينما كان الغرب وعلى أطراف جزيرة العرب يوجد القانون الرومانى العتيق الذى كان قد وصل الى أقصى غايات الرقى التشريعى من خلال تطور استغرق على الأقل ألف سنة فكان عمره فى الغرب كعمر الفلسفة تماماً٠٠ ألف سنة٠٠ فنزل القرآن على رجل أمى ليضع فى بضع وعشرين سنة فقط لاغير قانوناً يبرز القانون الرومانى، ويفوقه إنسانية، ويعالج القصور الذى كان يعيب ذلك الصرح الشامخ من القواعد القانونية٠٠ ونجح القرآن فى هذا التحدى التشريعى بامتياز بالغ الروعة!!٠٠٠

٤٠ كانت الغزوة الرابعة للقرآن على مستوى الزهد والتصوف، وكان العرب إلى أن نزل القرآن يفترون من المباحج ويرتكبون فى ناديهم المنكر ولايعترفون بالبعث بعد الموت، وكانت الهنود إلى الجوار منهم تقوم ثقافتهم وتعتمد حضارتهم على التقشف والزهد٠٠ فإذا بالقرآن يهذب هذه الثقافة، ويقوم أسلوب

الزهد، ويرشد الطريق إلى الله بشكل ساحر رقيق. ووضع المتصوفون الاسلاميون قواعد التصوف الاسلامي. وعرفوه بأنه ألبحت عن الصفاء والترقى في الشكر والذكر. ومن ثم كان التصوف الاسلامي تصويماً لتقافة عمرها أكثر من ألف عام!!

٥٠ وجاء زمان الغزوة الخامسة للقرآن. وقد اختار القرآن ميدانه الجديد في العلوم وتطبيقاتها. فالمناخ العالمي قد أصبح مهيناً لأن يقول القرآن الكلمة الفاصلة في الصراع الثقافي القائم الآن على قدم وساق. ولا نقول صراع الرسائل فذلك فهم خاطئ للدين؟! فدين الله واحد. فالرسالات السماوية تتكامل ولا مجال للصدام بينها، ولكن الصدام ينشأ تحت تأثير الثقافات التي نشأت على الدين!! لكن (صمويل هانتجتن) الأستاذ بجامعة هارفارد نشر بمجلة السياسة الخارجية الأمريكية دراسة جديدة يؤكد فيها أن المرحلة القادمة من القرن الواحد والعشرين سوف تشهد صراعاً بين الحضارات ومواجهة بين أصحاب الرسائل. ورسم خريطة لمناطق الصراع وضح فيها حتمية الإنقسام بين أوروبا المسيحية من ناحية، وبين الشرق الأوربي الأرثوذكسي والاسلامي من ناحية أخرى. أى أن الصراع مع منطقة الاتحاد السوفيتي السابق سوف يظل مشتتلاً، ولكن ليس على أساس عقائدي أيديولوجي، ولكن على أساس ديني. ورغم أن المسلمين في الشرق والغرب تتردى أحوالهم إلى الأسوأ، ونامت شوكتهم تماماً بعد الحرب العالمية الأولى، وحتى الآن. إلا أن القرآن حمل الدعوة الاسلامية وحيداً، ومضى يجاهد في الأرض!! وبدأت الدعوة إلى البحث عن الإعجاز العلمي في القرآن تتسلل حديثاً إلى وجدان علماء المسلمين. ويجيء الفتح متتابعاً حين يقف علماء الرسائل الأخرى يؤكدون إعجاز القرآن في مختلف مجالات العلم!! وتتطور نظرة العلماء إلى القرآن. فإذا بشذرات من الافكار المضينة تخرج بين الحين والحين لتثبت بالدليل والبرهان ان النصوص التي تحدد ثقافة اللغة، ثم تحدد ثقافة المنطق الفلسفي، ثم تحدد ثقافة التشريع والقانون، ثم تحدد ثقافة الزهد والتقشف - تنهياً لمرحلة جديدة من الصراع والتحدى في عقر دار العلم وتطبيقاته في الوقت الذي تسامت أحلام الانسان بعيداً عن كوكب الأرض، وتطلعت إلى آفاق الفضاء والكواكب الأخرى والنجوم، وبعد أن أصبحت الكرة الأرضية مجرد قرية صغيرة مكشوفة بلا أسرار. ونجزم أن القرن القادم هو قرن القرآن!! وان صدام الحضارات الذي يتنبأ به (صمويل هانتجتن) في دراسته السابق الاشارة اليها سوف يحسم في النهاية لصالح ثقافة واحدة قادرة على هضم كل الثقافات وأخذ أفضل ما فيها. ومن علامات انتصار القرآن ما بدأت تفيض به النصوص من أفكار علمية موافقة لطبيعة الحياة التكنولوجية التي تأخذ بالباب الناس من الغرب والشرق. حيث نشطت بتوفيق من الله حركة البحث العلمي في آيات القرآن، وجند الله لهذا الامر جنوداً لم يكونوا في حسابان المسلمين فمثلاً الذين قالوا عن صحة نشأة الكون من

حدث انفجار عظيم طبقاً لنص القرآن كانوا غير مسلمين، والذي اكتشف أخيراً أن الكون له نهاية، وله مستقر كان من غير المسلمين..
وهذا الكتاب بما ورد فيه من نظرات في الكون والقرآن .. وفي الإنسان والقرآن .. يُعد بحق ظاهرة جديدة تستحق وقفة إكبار وتأمل .. إكبار لأن منهج النظر في موضوع الكتاب يحاول أن يجعل منه موسوعة علمية قرآنية للبحث في كل شيء !!
ولعل اللقطة الخطيرة في هذا الكتاب هو معالجته لفكرة الشينيه في الكون والإنسان والقرآن، وهي فكرة مذهلة تومض حيناً وتشرق حيناً.. لكنها في كل الأحيان تُلهب الخيال وتخطف الألباب.

- وبعد قرأتى للجزء الأول (نظرات في الكون والقرآن) من الكتاب لأكثر من مرة، كان يقينى يزداد فى كل مرة أن تصنيف الكتاب بتكامله والجزء الثانى (نظرات فى الانسان والقرآن.. منظومة حياة الانسان فى القرآن.. من حيث خلقه، وجوده، وحياته النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والايمانية، والاجتماعية، والاقتصادية.. وتربيته، وأعماله وأفعاله، ومشكلاته المعاصرة..) ماكان لبتأتى للكاتب من تلقاء نفسه. وأن اختياره للموضوع وعكوفه عليه، والظروف التى هيات له فرصة الخلوة مع الفكرة لسنتين طويلة، دون شواغل أخرى من أسباب الحياة.. لا بد وأن وراء هذا كله قَدْرٌ إلهى عظيم.. وطوبى لنا بهذا الكتاب القيم الذى يعتبر فتحاً جديداً فى مجال اسلامى جديد سوف يثرى المكتبة الاسلامية بنظراته الطيبة، التى كل نظرة منها كفيلة بأن تقوم عليها مجلدات!؟
- ولما كنت قد بدأت بانطباعى الأول، فلا بد أن أنهى بانطباعى الأخير.

○ وحتى أكون صادقاً مع نفسى ومع القراء، أقترح أن يكتب على الغلاف الخارجى للكتاب تلك العبارة التى كان أفلاطون قد كتبها على باب مدرسته فى مدينة أثينا القديمة (من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا).. لقد حلّ زمن الفقه الرياضى، والتكنولوجى المعلوماتى فى شتى مجالات الحياة.. وخير ختام أن نقول مع الله..

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم، هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين، وآخرين منهم لم يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم﴾ الجمعة: ٣١.
صدق الله العظيم.

- يجرى الزمان سريعاً.. وتتقضى الأجل.. وتتخطى البشرية بين ملذات المادة والروح وعند الغالبية تطفئ الأولى على الثانية. جاءت الرسائل لتوازن بينهما، ولتوظف المادة لخدمة الروح وتهذيب النفوس.. ويجند الله دينه وكتبه ورسله والنفوس الطيبة للارتفاق والانتفاع من كل شئ خلقه الله وسخره في الكون: جماد، زمان، نبات، حيوان، هواء، ماء، دواب، سمك، نحل، طير.. أدت كل رسالة سماوية وظيفتها المحدودة، لزمان محدود في قوم بذاته. وجاء الاسلام ليهضم كل الرسائل ويحتويها، فهو بحق رسالة الرسائل، هو دين الله الخاتم (إن الدين عند الله الاسلام)

- أدركت هذا الأمر مبكراً حال ترحالي للعديد من دول أوروبا طلباً لعلم وتمكيناً لمعرفة منذ أواخر الخمسينيات. القوم هناك يسيرون على نهج الاسلام، ولا ينطقون بالشهادة.. يحترمون الفطرة الانسانية والكون ويفترقون من معين الاسلام.. قرآن الله، وسنة رسوله ﷺ، وينهلون من تراكمات ثقافتنا وحضارتنا الاسلامية. عرفوا الكون واحترموه وتفلفلوا في جوهر كل ما خلق ربنا وسخر من شئ.. فكانت لهم القوة.. وصارت لهم السيادة.. أما نحن ورثة القرآن والسنة وثقافة الاسلام وحضارة الملة فأهملنا كل الأشياء.. وجزعنا أغلب القضايا.. فكتبت علينا تبعية مهينة وفقر مخجل!!

- سر نهضة الغرب أنهم بدأوا مما عرفوه منا وعنا إبان الحروب الصليبية وفي زمن الاحتكاك بحضارة الأندلس، ترجموا كل موروثنا الحضاري إلى لغاتهم وسرقوا ونهبوا النماذج، وتعلموا منا وعنا علماً حياً لكل نشاطات الحياة الجمادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أما نحن فأهملنا الموروث، ونسينا التاريخ، وأهملنا الجغرافيا والفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والأحياء.. الزراعة والصناعة والطب.. وكل العلوم والفنون.. أهملنا البعر واليابس، ولوثنا الماء والهواء والأخلاق.. ورضينا بتقهقر منظم سريع، حتى أصبحت نميش على هامش الكون؟! ونستجدي الاعداء غذاءً وسلاحاً!!

- مامن منتصف في الغرب والشرق إلا ويفرر فضل الاسلام والمسلمين على البشرية.. والمغالون منهم يعتبروننا عدواً وحيداً لدوداً بموروثنا الحضارية والثقافية.. وتاج الموروث القرآن والسنة والاخلاق والتاريخ.

- أدركت أن سر تقدم الغرب يكمن في فهمهم الصحيح لآيات النظر والمقل في القرآن.. فكانت جواز دخولهم إلى الدولة التكنولوجية الغربية!!

لقد كانوا جوهر آيات النظر والتفكير القرآنية لأبنائهم واحفادهم فكان لهم ما أرادوا!! فوصلوا الافاق وارتادوا المجهول!! ومن عجب أنهم أعمالوا قول الله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فأنها لاتسمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) (الحج:٢٢:٤٦)!!

- أما نحن أمة القرآن فأهملنا الأرض والبحر والنهر والماء والهواء والسير والكدح والعمل، والفكر والمقل والابداع، ووقفنا موقف الغربة والعزلة من آلات الانتاج ومعداته، وتركنا التاريخ والسير والمير والسنن، جزعنا القضايا والرؤى، وتحزينا شيعاً شيعاً، ورحنا نبتر الجسد الاسلامي، ونلوث الجراح العربية، ونسلك مسالك الجاهلية الأولى.. نجتمع المال، ونمضي بالشهوات والملذات والزينات، ورحنا نتسوق الدواء من مواطن الداء، ومرابض الاعداء!!

- رحمت أستطلع الأمر في المكتبة العربية لعل أجد معالم طريق نحو أسرة

تكنولوجية مسلمة وجدت فقراً وعمداً.. تهيبت المهمة.. لكنه العبر بالله واليقين في الله..

- ركبت عنان الخيال ألتمس طريقاً نحو دولة تكنولوجية معاصرة يتأخى فيها اهل الرسالات أمراً بمعروف ونهياً عن منكر في حدود دين الله الواحد الأحد، الفرد الصمد.. وما ذلك على الله ببيد.. فعالم لما يريد..

- أمر كهذا في حاجة لعمل مؤسساتي، ولا يفي به أفراد مهما كانت قدراتهم.. على الوفاء بتفضيلات المهمة، ربما ينتج البعض في تحديد رؤوس موضوعات تصلح إطاراً وجدول أعمال لفكر متكامل..

- لكل ذلك كانت هذه النظرات الموضوعية والموضوعية في الكون والقرآن والسنة، يتبعها أخرى في الانسان والقرآن.. بإذن الله تعالى.. قضيت فيها أغلى سنوات حياتي.. متتليماً مرتحلاً.. ناقلاً منجرباً.. وجئت أروي ما فهمت وأدركت، لعل الله يتقبل!!

- فهذا العمل نتاج الكثير من المناقشات والمُدارسات مع العديد من الزملاء والأصدقاء في مختلف التخصصات.. فبحكم عملي الجامعي والاجتماعي العام أستشرت وتناقشت مع كثير من الزملاء الأفاضل كل في مجال تخصصه فيما غمض على فهمه، ولكثرتهم اعتذر عن التخصص بالاسم، وأسأل الله لهم جميعاً خير الجزاء..

- شكري وتقديري لأخوة الاصدقاء الرواد: الأستاذ الدكتور عبد الصبور مرزوق، والأستاذ الدكتور ابراهيم البطاوي، وفضيلة الشيخ أحمد علي صلاح، والدكتور معتر المرزوقي، والأخ العزيز الكبير محمد ابراهيم ناصر.. لاثرائي وتشجيعي لمواصلة العمل وانجازه

- شكري الخاص لأخي الفاضل الأكبر الأستاذ عبدالرحيم محمد عاصي، وللأستاذة.. على صابر، ومحمد أبو أحمد، ومحمد عبد المؤمن ناصر، وأسامة عامر، وم. على الشامي.. فقد أسهم الجميع في مراجعة الكتاب، وشجعوني واستنهضوني للانتهاء منه!!

- لعل المنهج الموضوعي الفطري الكلي لهذا الكتاب ومضة نور على طريق إرادة حياة جادة لشباب الأمة، ولعله يصلح إطاراً عقلياً إيمانياً إتفاقياً بين كل الناس.. في جمعياتهم ومؤسساتهم العامة والخاصة، مهما اختلفت نزعاتهم وثقافتهم وأعمارهم ومهنتهم، وحتى دياناتهم..

- ولعل الكتاب تهجين لتصنيف موضوعي وموضوعي لتسيح تكاليف القرآن في شتى فروع ودروب نشاطات الحياة، على هدى سيرة النبي ﷺ، والقصد بالتمييزين انتفاع وارتفاق الناس جميعاً بكل شئ في الكونين: الكون الجمادي (السموات والأرض وما بينهما)، والكون المعنوي (القرآن والسنة).. بلا تجزئ ولا تبعض - وصولاً إلى رضاء الإنسان، وراحة باله، وسعادة أسرته، وقوة مجتمعه، بإعمار الإنسان، وتنمية البلدان، وعزة الشعوب بتفظيم الموارد، وتبادل المنافع غزماً وغنماً، في حدود ما أمر الله وشرع، أمراً بمعروف، ونهياً عن منكر، لا إكراه في دين ومعتقد، نحقق المبودية الخالصة، ونستقيم على صراط الله رب العالمين.. يصلح العمل، وينصلح البال، نغفر في كون الله وبره ويعبره، ونستصلح الأهل والأحباب، ونستزرع الخير والتقوى في نفوسهم..

على الله قصد السبيل.. والله الموفق والمستعان

دكتور عبد الهادي ناصر

تشرين الكوم ٢٠ ديسمبر ١٩٩٢

حوار حول الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

جلسنا فى نطاق الأسرة زوجتى وولداى وابنتى وتجاذبنا الحديث .. فتحنا باب حوار حول محتوى الكتاب .. وجاء الحوار كله علامات استفهام "؟؟؟" وعلامات تعجب "!!!" .. بعضها جاء عن قلق من ولدى .. وبعضها قفز عن إشفاق من زوجتى .. وبعضها قفز إلى فؤادى عن جهل منى! .. تجاذبنا الحديث حول الإستفهام القلق! .. وبدونا بعضاً مما قلناه لعل فى العمر بقية أستزيد معرفةً أو سعياً لمعرفة من أهل فضل وعلم .. سعياً لمجالسهم .. أو بحثاً فى مدوناتهم .. أو ترحالاً لمنتدى .. أو نواجذاً فى ملتقى .. حيث تثار كثير من هذه التساؤلات! .. لعل أستنهض إضافة، أو أستدرك قصوراً، أو أصحح أخطاءً غير مقصودة !!

- سأل ولدى: لماذا كل هذا ؟! .. فى الله شك ؟!

- قلت: كلا والله يا ولدى!! فالكل يعرف أن الله موجود إله واحد .. هو خالق كل شىء .. هو مُسَخِّر الكوان .. هو الله يا ولدى مُدبر الأمر باعث الحياة .. أما يا ولدى هذا الذى تراه أمامنا فتصنيف موضوعى لكلام الله تعالى فى قرآنه حول خلق الكون من عدم!! وحول تسخير الكون!! وحول بقاء بعض مكونات الكون للأجل الذى قدره الله لها! .. هى يا ولدى! محاولة لتفسير ما ندركه فى الحياة من روح النصوص الموضوعية القرآنية! .. سَمَه يابُنَى فهماً مجملاً، أو فهماً إطارياً، أو فهماً كلياً، أو فهماً للحياة ومذكرة فى آيات القرآن! ..

- وسأل ولدى الأكبر: ألا يكفى لنا أن نعرف شيئاً عن الأرض والشمس والقمر،

وهذا يكفى لحياتنا، وحياة مجموعتنا الشمسية ؟!

- قلت: يا ولدي! علم نظام الكون - الحديث - يقرر بما لا يقبل الجدل أن حياتنا اليومية لا يمكن أن تستمر كما هي لولا وجود كل أجزاء الكون البعيدة .. بمعنى أن الكون كجسد الإنسان يكمل بعضه بعضاً، وتأمل يا ولدي! قول الله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر ٥٤ - ٤٩) .. ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ (الحجر ١٥ - ٨٥) .. وعلى كل يا ولدي! إرجع لكتاب الدكتور سعيد على غنيمه (أساسيات في الجيولوجيا) ١٩٧٥ م لعل فيه الزيادة في الشرح والإفادة ..

- وسألت ابنتي: ولماذا الخوض في موضوع ليس لنا به طاقة؟!
- أجبت: يا ابنتي! لنا وللناس جميعاً فطرة .. فعظمة القرآن تنأت في بساطته الإختيارية .. فهو مع العقل حيث درجة العقل .. وهو يحرك القلب بدرجة خشوع الأخير .. وعظمة خطاب القرآن متمثلة في بساطتها ونفاذها السريع إلى العامة والخاصة على حد سواء، لأنها تهز المشاعر والوجدان .. وترقى بأسمى غايات الشعور البشري وهو الحب الإلهي .. فنحب الله أكثر مما نخاف الله ..
ويا ابنتي! لاسبيل أمام البشرية لكبح جماح الغلو والشطط إلا بتهديب النفس بهدي رسالات السماء .. في مقاومة هوى جمع المال .. وفي مقاومة ملذات وشهوات البطن والفرج والسمع والبصر .. وحينئذ يصير الإنسان إنساناً ..

- قالت الزوجة: ربما تثير الجلسة تفكيراً عقلائياً وتولد هموماً كثيرة؟!
- قلت: يا أحباب! المسألة في الهم قديمة .. وشغلت بال دكتور الكسيس كاريل مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول) .. الذي حاز به على جائزة نوبل وحفر في كتابه هذا قولته الشهيرة: (إن أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية يدركون ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية وإجتماعية بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري) ..
ومفهوم الفكرة التي ينشدها الكسيس كاريل هي الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .. وهنا يزول الهم، ويرتاح الإنسان، وينصلح البéal ..

- ثار ولدي وقال: دعونا نستمتع بالمنجزات الصناعية وترفها من: عربات، وطائرات، وصواريخ، وسفن فضاء، ومسكنٍ مجهز .. بالإنسان الآلي، والنداء النقال، وشبكات للمواصلات تحت وفوق الأرض والنهر والبحر والخليج، وتكييف وترطيب وتجميد للأكل والأيس كريم، وأطباق تلتقط محطات العالم التلفزيونية في

حجرة النوم، وأجهزة تستقبلها في القطار، والطائرة، واليخت، وعلى رمال الشواطئ، وفي معسكرات الاستجمام! .. أحلال هذا كله في حياة الغرب؟! .. حرامٌ علينا؟! ..

- قلت: يا ولدي! إرجع للتاريخ .. تجدهم نهبوا الشعوب ونقلوا الثروات .. وسرقوا العقول والعلماء .. وأسسوا البنوك .. واستجلبوا الحسابات .. وإحتكروا التصنيع .. وفرضوا الأسواق .. وقيدوا الإستثمار .. وتواحدوا في الزراعة، والصناعة، والتجارة، والعلم، والثقافة، والمؤسسات البرلمانية، وحتى في إدارة الأزمات إتحدوا .. أهدافهم واضحة .. إستراتيجيتهم إتفاقية! .. يا ولدي! سادوا وتسيدوا لأنهم أقرب إلى إستخدام المنهج الحياتي القرآني .. منهج إعمال العقل .. وفهم الكون ومكوناته .. وإستفادوا وإرتفقوا كل ما خلق الله من شيء .. وأجادوا الأعمال .. وأخذوا بأسباب القوة .. وفي كل شيء! ..

لكن يا ولدي! حضارتهم المعاصرة هذه حققت تقدماً كبيراً في علوم الجماد والحياة .. وفشلت فشلاً ذريعاً في تقديم الجديد في علوم الإنسان! .. نحن جميعاً .. وهم معنا يا ولدي! .. نحن أمام مأزق عدم التوازن .. وأمام بركة واضطراب بين العلوم الجمادية والعلوم الإنسانية الحياتية! .. نحن المسلمين ضحايا التأخر في فقه علوم الحياة! .. والمخجل حقاً أننا تخلفنا في علوم الجماد وبصورة أشد! ..

- سألت إبنتي: وما الجديد الذي قدمته؟! ..

- قلت: الجديد يابنتي! في التوليف والتهميش والتعليق .. وأقصد بالتوليف تجميع المرامي والمقاصد! .. فمثلاً وأنا في سنكم قرأت كتاب العصر (قصة الإيمان) لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتي لبنان .. وحديثاً قرأت كتاب (كيف تتعامل مع القرآن) لفضيلة الشيخ محمد الغزالي، وكتاب (تفصيل آيات القرآن) للبروفسير الفرنسي جول لايوم .. وقضيت حياتي .. من سنكم وحتى الآن .. بين الحقل، والمصنع، والمعمل، والجامعة، ومعترك السياسة، والمكتبة، والمندى الثقافي - في جو ومناخ موضوعات الكتاب .. وذكرت بعضاً مما قرأت في آخر الكتاب تحت مسمى (أهم المراجع والمصادر) .. وذهبت أدرس علم الكمبيوتر وإستخداماته .. فهو يحمل في التضمين جزءاً من حياتي الذاتية! .. وربطت في

الكتاب بكلية بين ثلاث:

٠١ الإيمان ..

٠٢ علوم الجمار والحياة ..

٠٣ التصنيف الموضوعى لآيات النظر فى الكون والقرآن!!

وكان هيكل الكتاب على الصورة التى أتركها لكم .. حتى إذا تقدم الزمان، وتبدل العلم والرأى .. إجلسوا إلى الكمبيوتر وإحقنوا هوامشكم، ونقوا آرائى وهوامشى .. ويبقى هيكل الأساس هو هو!! ولن تجدوا أبداً من تناقض بين معارف وعلوم جيلكم، والتصنيف الموضوعى لآيات النظر فى القرآن (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً) - فاطر.

تعديلاتكم ستكون بالطبع أدق وأثقب وأصوب .. لكن تذكروا أن عملكم المرتقب هذا لا يعدو كونه تغييراً ليدكور الحاشية والتهميش والتعليق .. وتأكدوا لو كرر جيل الأحفاد عمل نفس الشئ .. لبقى الأساس هو!! هو!!

يتغير التعليق والهامش .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!! وهذا هو التوليف المعاصر الذى حاولت تقديمه بعلوم يومنا هذا!!

- فالإيمان والتصنيف الموضوعى لآيات القرآن باقيا ن خالدا ن!! أما العلم

وفقه الحياة ففيهما إختلاف المظهر لا الجوهر!!؟

- قال ولدى الآخر: زدنا تفصيلاً!؟

- قلت: يا أحباب! القرآن يقدم منظومة ربانية سماوية تربط بين: الكون، والإنسان، والحياة!! فهو يرسم واقع الكون .. ويكلفنا بقراءته، وتعقله، وتدبره، والانتفاع بكل ما فيه .. من كل شئ .. فى إطار ما أحل الله .. وما أحل الله وَرَخَّصَ هو الغالب والأعظم فى البر والبحر فى مملكة النبات والحيوان والاكل والشرب والزينة .. وما حَرَّمَ الله ومنع هو النادر القليل - وجاء المنع والتحريم لمصلحة الإنسان!!

الإسلام .. دين فرد .. ودين جماعة .. ومنهج أسرة .. وفقه مجتمع .. وسياسة بشرية .. وسلامة وسلام لكل الناس!! وهو النسيج المتشابك المتين فى فقه الحياة .. يربط فى توازن سماوى محكم .. وفى إطار كل شرائع الله .. بين الغرائز البشرية والفطرة الروحانية!! ما أحل الله لا يعد ولا يحصى!! وما مَنَعَ وحَرَّمَ - لا يُقارن ولا يُذكر!!

- والنظرات الكونية القرآنية بشمولية المفهوم حَوَّتْ وشَمِلَتْ الكون والقرآن

بغالبيتهما!.. ففي الغرب أدركوا روح القرآن.. كأثر للاحتكاك بحضارتنا إبان الحروب الصليبية.. أخذوا منهجنا الكوني التجريبي وساروا على طريق سلفنا الصالح فكانت لهم حضارتهم المعاصرة.. أما نحن فأهملنا المنهج وضلنا الطريق فعشنا على حافة الحضارة المدنية الحديثة.. ونحن جميعاً فى أزمة.. ننذر بقوضى عالمية وهَرَج ومرج وقتل ودمار!.. وحتى ورغم أننا عُزِّل من القوة.. وفقراء بخجل.. ومع ذلك شخصوا المسلمين عدواً لدوداً وحيداً؟!.. ونحن نحن نستجدي رضا وصدقة الاعداء!.. لاننا إنصرفنا عن إستغلال خيرات أكوان الله فى الأوطان.. وإحترفنا الأقوال.. وتركنا الأعمال.. وبُعَدنا عن منهج الله!..

- وأضفت قائلاً: يا أحاب! تذكروا قول حكيم: (أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى فى المال، فإذا هو فى القناعة، وطلبنا الراحة فى الكثرة، فإذا هى فى القلة، وطلبنا الكرامة فى الخلق فإذا هى فى التقوى، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس فإذا هى فى الستر والإسلام) يعنى فيما يستر الله من العيوب والذنوب. بمعنى أننا مطالبون بأن نرجع الى روح القرآن لنفسر ظواهر الكون والحياة. والعكس غير جائز فلا يصح أن نوقف معانى القرآن على المعارف البشرية، أو حتى على إجتهد العلماء المحدثين. وصولاً إلى فقه حياة مستقرة هادئة وادعة واعدة بما هو أضمن وأحسن!..

- سأل ولدى: وما العلاقة بين الإسلام والحضارة؟!..

- قلت: يا ولدى! الإسلام دوماً فى تعانق تبادلي تأثيري مشترك مع الحضارات البشرية.. وماكانت هناك غربة تاريخية قديمة بين المسلمين الأوائل وحضارة النهر والتوحيد والعلوم التى ازدهرت فى مصر قبل الإسلام.. بل إن مصر المسلمة ازدادت بالإسلام ثراء ودعمت أركان الحضارة الإسلامية فى تواد وتحاب وعناق.. وكذلك فإن حضارة فارس تعانقت وحضارة الإسلام الشابة.. وتكاملت روافد الحضارتين فى مَصْب حضارة الإسلام.. وبالتالي فلا غربة محتملة بين الحضارة الصناعية المعاصرة وحضارة الإسلام السابقة واللاحقة بإذن الله تعالى.

- فالإسلام انتشر فى الهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا وفى أغلب دول القارة الأفريقية بالقدوة الحسنة والمسلك القويم والتاجر الصدوق!.. ولم ينتشر الإسلام فى هذه الأماكن بالحروب.. ونذكر أن تعداد مسلمى هذه المناطق أكثر من أربعة أمثال مسلمى العالم العربى!..

فَحَقِيقَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْمَلَ وَيَجْتَهِدَ فِي حَقْلِهِ وَمَعْمَلِهِ وَمَصْنَعِهِ وَمَتَجَرِّهَ إِتْقَانًا لِلأَعْمَالِ وَأَدَاءًا لِدَوْرِ حَضَارِي هِيَأْتِهِ لَهُ الظُّرُوفُ الدُّوْلِيَّةُ الْحَالِيَّةُ فَالْسَّاحَةُ خَالِيَّةٌ تَمَامًا بَعْدَ فِشْلِ الْعُقَاثِدِ الإِصْلَاحِيَّةِ لِلشُّيُوعِيَّةِ وَالرَّأْسْمَالِيَّةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ ۰۰ وَيَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ بِالْقُدُوةِ وَالْعَمَلِ الْجَادِ وَالمْتَقِنِ الوُصُولَ إِلَى وَجْدَانِ الشُّعُوبِ المْتَهَفَةِ لِمَلءِ الفِرَاغِ الرُّوحِي العَمَلِي الحَيَاتِي المَعَاصِرِ ۰۰

وَرِسَالَةَ القُرْآنِ تَصِلُ إِلَى كُلِّ سَامِعٍ وَكُلِّ مَبْصُرٍ ﴿أَسْمِعْ بِهِ وَأُبْصِرْ﴾ ۰۰ وَمَاتَرَاجَعْتَ الحَضَارَةَ الإِسْلَامِيَّةَ ۰۰ بَلْ تَرَاوَجِعُ الْمُسْلِمُونَ وَأَضَاعُوا التَّارِيخَ وَضَاعُوا ۰۰ وَأَصْبَحْنَا تُجَارَ كَلَامٍ وَوَطْنِيَّةٍ، وَتِجَارَ تَحْفِ حَضَارَاتٍ قَدِيمَةٍ ۰۰ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الإِسْتِنهَاضَ الحَضَارِي قَائِمٌ مُمْكِنٌ مَتَاحٌ، وَفِي فِتْرَةٍ عَقْدٍ مِنَ الزَّمَانِ ۰۰ يُقَلُّ أَوْ يَزِيدُ قَلِيلًا ۰۰

- سَأَلْتُ إِبْنَتِي: وَهَلْ مَادَةٌ مَدَارِسَةُ الكِتَابِ مَوْجِهَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَطْ ؟!

- أَجَبْتُ: يَا بِنْتِي! الإِسْلَامُ دِينٌ عَامٌّ ۰۰ لِكُلِّ النَّاسِ ۰۰ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ۰۰ ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رِسُولًا وَكُفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا﴾ ۰۰ فَالْمَدَارِسُ لِفَقْهِه الأَمَامِ مَالِكٌ يَسْتَوْفِقُهُ أَنَّهُ شَغَلَ نَفْسَهُ بِتَفْسِيرِ الحَيَاةِ بِرُوحِ النُّصِ القُرْآنِي وَسَيَطِرُ هَذَا التَّزَاوُجُ بَيْنَ القُرْآنِ وَفَقْهِ الحَيَاةِ عَلَى عَقْلِ الإِمَامِ وَوَجْدَانِهِ ۰۰ حَتَّى أَنَّهُ قَالَ: (لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الحَيَاةِ إِلا وَجَدْتَهُ فِي القُرْآنِ) ۰۰ وَيَا بِنْتِي! لِأَبَدِ أَنْ تَدْرِكِي أَنَّ الكَوْنَ وَالحَيَاةَ الدُّنْيَا خَلَقَتْ وَسَخَّرَتْ لِلنَّاسِ جَمِيعًا ۰۰ وَالقُرْآنُ يُثِيرُ النَّاسَ جَمِيعًا لِأَعْمَالِ العَقْلِ وَالفِكرِ ۰۰ وَالإِسْتِزَادَةَ بِالعِلْمِ وَالتَّعَلُّمِ ۰۰ وَالأَخْذَ بِأَسْبَابِ القُوَّةِ وَالكَسْبِ ۰۰ وَالإِسْتِمْتَاعَ بِنَعِيمِ الدُّنْيَا وَبِهَجَّتِهَا جَنبًا إِلَى جَنبِ مَعَ التَّزُودِ لِلحَيَاةِ الأُخْرَى ۰۰ وَلَا عَجَبٌ فَالْقُرْآنُ قَدْ حَوَى كُلَّ سَوَابِقِ تَعَالِيمِ السَّمَاءِ إِيمَانًا وَخُلُقًا وَسُلُوكًا ۰۰ وَلِلْقُرْآنِ فِي فَقْهِ الحَيَاةِ مَرْجِعِيَّةُ الوَحْيِ الرِّبَانِي المَطْلُوقِ ۰۰ فَالْقُرْآنُ يَا بِنْتِي! لَا يَتَقَادَمُ أَبَدًا ۰۰ فَهُوَ القَدِيمُ المْتَجَدِّدُ ۰۰ وَالجَدِيدُ الَّذِي لَا يَتَقَادَمُ أَبَدًا ۰۰ أَبَدًا ۰۰ هُوَ الحِكْمَةُ الإِيمَانِيَّةُ الخَالِدَةُ!

- سَأَلْتُ زَوْجَتِي: هَلْ نَحْنُ فِي مَوْقِفِ التَّحْدِي الحَضَارِي ؟!

- أَجَبْتُ: بَلْ نَحْنُ فِي مَوْقِفِ الإِسْتِنهَاضِ الحَضَارِي ۰۰ وَهَمُّ فِي الغَرْبِ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّنَا فِي مَوْقِفِ الهِزِيمَةِ الحَضَارِيَّةِ ۰۰ وَأَقُولُ أَنَّنَا قَبْلُنَا الهِزِيمَةُ مَبْكَرًا ۰۰ وَعَبْرُنَا مَرِحَلَةَ التَّخْطِي ۰۰ فِي حَرْبِ السُّوَيْسِ سَنَةَ ١٩٧٣ م ۰۰ وَنَحْنُ الآنَ عَلَى أَعْتَابِ مَرَاوِحِ الإِسْتِنهَاضِ الحَضَارِي ۰۰ وَهَذِهِ مَرِحَلَةُ جَادِ شَاقَّةٍ، تَحْتَاجُ لِتَرْتِيبِ وَحْشِدِ كُلِّ

الموارد، وتتطلب التدنى بحدود الإشباع، وتستوجب الارتفاع بعوائد المدخرات الوطنية وتوظيفها فى الإعمار والتنمية، وجدير بنا أن نشجع المُنتج المحلى، ونرتقى به، ولا أشك فى أننا سنحقق نصراً حضارياً، لو أننا تعاملنا مع الحياة بكليتها (فى كل شىء)، وبلا تجزىء (لأى شىء)!!

- سأل ولدى: هل نعود إلى التقاليد؟!؟

- قلت: يا ولدى! أشرح لك مفهوم التقاليد، لم أسمع أن فى اليابان تقاليد قديمة، وموضة جديدة، بل التقاليد يا ولدى! هى الموروث الحضارى الإيمانى والثقافى والخلقى للشعوب، فالإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة، ولا تنسى ماقرروه فى الغرب فى كتاب العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ، فعندنا المعيارية الثقافية والأخلاقية فى القرآن والسنة، وحياة محمد ﷺ، ومن تبعه، من الخلفاء، ومن السلف الصالح، ومن علماءنا المبرزين فى العلوم والحكم والحكمة، نملك تقاليد هائلة أعتقد لا إختلاف عليها ولا جدال!! فهل نسلك مسلكهم، ونهجه نهجهم، ونبغى مَبْتَغاهم؟! وأفهم التقاليد كذلك أن الواجب يقتضينا نقل علوم الجمار من كل صوب وحذب، نُغْرِيلِ وَنُتَخَّرِ التكنولوجيات المعاصرة ونحسنها ونجدد ونجود عليها ونُكفِّ الإنتاج ونُنافَس بِإنتاجنا وبإتقاناتنا!! وهذا تقليد من تقاليد السلف يا ولدى!! وأمرنا الرسول ﷺ بأن يبنى كل هذا على العلم فقال ﷺ: ﴿إطلبوا العلم ولو فى الصين﴾ !!

- أما يا ولدى! إذا كان مفهوم الحداثة هو الأخذ بالنمط الغربى فى السلوك فهذا هو الذويان، أو إن شئت قل التذويب فى الغرب!! وحسبى أنكم ترفضون ذلك، لأن باطننا مختلف تماماً، فيستحال اللقاء بين الظواهر، وأكرر يا ولدى أن الإسلام يحدد شخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة، ومع ذلك لا بد أن تتيقن ولدى! أن الإسلام يرخص لمعتنقه بالتشدد حينما يكون التشدد مطلوباً، ويسمح بالترخص حين تدعو الحاجة لذلك بظروف الحال والمكان والزمان! وأسهم الكثير من المفكرين فى طرح موضوع الحضارة بين الأصالة والمعاصرة، وهذا هو الطريق والغاية!، ويا ولدى! إذا فهمت التقاليد الإيجابية، على أنها، إرادة وأصالة، واستنهاض حياة بخلق صادق أمين، وصولاً إلى إعمار وتعمير وتحضر، حينئذ يتماثل ويتوحد فكرنا!

- قال ولدى: الآن فتحنا باب الحوار.. فكيف السبيل لحوارات تفصيلية ؟
 - قلت : يا ولدى! التحديد ليس من عندي! بل العكس فهو يأتي نتيجة اهتمامات وثقافات فردية.. بعضها عام.. نتواصل في حواراته بخطاب إعلامي عام!! بمجمل معارف عامة.. والآخر.. يحتاج برامج وندوات وورش عمل وبحوثاً ومؤتمرات.. وحوارات هذا النوع تتم وجهاً لوجه - لأنها ذات طبيعة تخصصية!! ثم ما نلبث أن نجد أنفسنا في حاجة إلى التبسيط وصولاً لتحقيق الفائدة المعرفية لجمهرة أكبر.. وهي أصول علمية معروفة لعلماء الإتصال والتنمية والتغيرات الاجتماعية.. وهذا هو السبيل الوحيد لخلق جو المشاركة الإيجابية في تهيئة الجو التنموي العام بشقيه الإقتصادي والاجتماعي!!

- وعلى كل فموضوعات الجزء الذي بين أيدينا نظرات بين الكون والقرآن هي إتفاقية.. لأنها متعلقة بعلوم جمادية تُرصد بمنهج علمي معروف ونتائجها توصلنا إلى حقائق مرحلية، دقتها تتوقف على تدقيق الفرضية، وعلى دراسة كل عوامل التأثير والتأثر الكونية، مع ضرورة إعتبار معاملات تكرار المدد والأزمان على الأشياء والظواهر.. وهذا أمر في تبديل وتغيير مستمرين فحركة الكون صاحبة جداً، وسريعة جداً، والأزمنة الكونية في تبدل وتقارب مضطرد. من هنا فلا ثبات لعلم فكل يوم والعلم في شأنٍ وحالٍ ولا رأي مقطوع به علمياً إلا إذا تعلق بسنة كونية!

- قال ولدى الثاني: وبماذا نبدأ ؟

- قلت: يا ولدى! في منظومة الخلق لا توجد بداية ونهاية.. فنبدأ بما بدأ به القرآن.. إن شاء الله تعالى نبدأ بالمنظومة السماوية.. ثم نثنى ونكمل بمنظومة الأرض! فالأرض عرض.. يا ولدى!! ويوصى اليهود أبناءهم على لسان أنبيائهم ببناء بطلبٍ ووصيةٍ (يا بني اشتر الأرض فإنها الشيء الوحيد الذي صنع مرة واحدة)!

- فالإنسان والماء والأرض هم الزاد والزواد.. في نشاطات اليابس والبحار وحتى في نشاطات الجو والفضاء والهواء، فهم إرادة كل حياة الكون الذي نعرف. - وعليه فنتبع منظومتى السماء والأرض بنشاطات البشرية في الفضاء!! فهذه النشاطات مجتمعة تغطي المكان والزمان والإنسان في فقه الحياة يا أحباب!

أما أحوال حياة الإنسان وفقها فمؤجلة حواراتها لحين عرض مَدَارِسَتِنَا

(الإنسان فى آيات القرآن) .. خلقه، وجوده، وحياته، ونشاطاته، ونظمه الاجتماعية والاقتصادية، وهذا موضوع كتابنا القادم بإذن الله تعالى.

- قال ولدى: كيف تُحَمِّلنا أمانة تاريخية؟! .. لا طاقة لنا بحملها!؟
 - قلت: يا ولدى! كنتَ مثلكم ويزيد .. أكثر خوفاً وأكثر تهيّباً حين بدأت فى المجال هذا وليس لى به طاقة؟! .. وقذف الله فى قلبى بنية العمل، وبغاية المراد .. هُوُوا الأمر يا أحباب! ففى الصين يرددون حكمة تقول: (لا تطعمنى سمكة وخير لى أن تعطنى سنارة وتعلمنى الصيد) ..
 ونحن هنا أمام موقف أفضل بكثير .. فالتصنيف الموضوعى لآيات النظر فى القرآن مدوّن لكم وللآخرين .. إيمانكم بالله محقق، والحمد لله .. سجلوا تجاربكم وتجارب الآخرين .. وجددوا خبراتكم ومعارفكم وتجددوا فى فقه حياتكم .. فهناك فقه جديد فى الصناعة إختاروا له لقب التجديد RENEWING .. وليس بعسير أن تجددوا تهميش الكتاب، وربما تكون هناك سعة لمنندى يُسهل العمل .. هى وصية لكم .. وهو رجاء لأولى الالباب !! ليتواصل العطاء .. وعلى الله قصد السبيل ..
 ﴿وقل رب زدنى علماً﴾ .. والحمد لله رب العالمين !!

تفصيلات محتوى الكتاب

الجلسة الثانية

- فى جلستنا العائلية الثانية إمتد الحوار حول تفصيلات محتوى الكتاب .. باغتنى ولدى الصغير سائلاً! .. متى؟! وكيف؟! وأين؟! بدأ التفكير فى هذا المحتوى!؟

- قلت: يا ولدى! فى سنة ١٩٦٨م كان برد أوكرانيا القارس قد تمكن منى .. وذهبت إلى مصحة فى القوقاز فى بلدة (يسنتوكى) وفى منطقة جبلية تسمى (بياتى جورسك) قضيت ثلاثة أسابيع .. فى علاج بالماء المعدنى المشع .. تقابلت مع عالم روسى كبير أخذ يحدثنى كثيراً عن علوم الكون والفيزياء وعن القرآن وما أورده من آيات كونية عظيمة فى حاجة إلى تدبر وتفكر دائمين .. وفى عام ١٩٦٩م .. وكنت قد إنتهيت من دراسة الدكتوراة، تقابلت مع عالم روسى آخر .. حدثنى كثيراً عن فضل الإسلام على البشرية وذكرنى أن علياً ابن أبى طالب فى رسالته الشهيرة لمحمد ابن أبى بكر إبان ولاية الأخير حكم مصر .. وكان القحط قد حل بالديار المصرية وتشدد

الوالي .. المعين من قبل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب .. في جمع الخراج، وإستكى المصريون واليهام لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فبعث إليه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه برسالة يعتبرها علماء الإقتصاد والإجتماع أنها أساس متين لتحديد مفهوم الدولة، وحتى عصرنا هذا .. حيث كتب له أمراً موجهاً: (عليك بالإشفاق في جمع الخراج، فالناس كلهم عيال على الخراج، ولابد أن تقترن حياتك للخراج بالعمارة، أما نصيبك منها فلا بد أن يكون بقدر حاجتك، فإن زدت فإنك ستكون عظة وعبرة لمن يلحق). والسلام، علي ابن أبي طالب .. ولجأت إلى الوالد الأستاذ حسن كامل المطاوى ووجدت عنده المنهل والعطاء وزادني في الأمر وأفاض كثيراً .. وكثيراً جداً .. حيث أمدني بكتاب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب إلى عماله على الخراج وجاء فيه: (أنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجكم، فإنكم خزانة الرعية، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة. ولا تحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، ولا عبداً، ولا تضرين أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدي به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه. ولا تدخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة. وابدلوا في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه، قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا، وأن ننصره بما بلغت قوتنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

كما أثارني الأستاذ حسن المطاوى بكتاب تكليف من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الأشتر النخعي (مالك ابن الحارث) حين ولاه علي مصر .. وفي إستهلاله يقول: (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين، مالك ابن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر، حياة خراجها، وجهاد عدوها، وإستصلاح أهلها، وعمارة بلادها ..) وهزني مالم أسمع به من قبل (إستصلاح أهل مصر: قبل إعمار بلادها) !؟

وفي شتاء ١٩٧١م وفي جلسة للشيخ إسماعيل الصادق العدوي أفاض في شرح تعطيل قانون الجاذبية المعروف .. بالآية الكريمة: ﴿أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ الملك ..

ومنذ ذلك التاريخ يا ولدي! شغلتنى المسائل سعياً وفكراً وتبصراً وتدبراً .. وكان أخوك قد جاوز الأربع سنوات، وأختك جاوزت الأربع شهور .. أما أنت فولدت

بعد هذا الأوان بثلاث سنوات.. وبدأت تجميع مادة الكتاب العلمية منذ سبع سنوات خلت..

- وقلت: أما عن كيف؟! يا ولدي! فأمر سيبقى فى أذنى وذاكرتى ما بقيت الحياة.. ففى أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، كنت مهموماً وبكرب شديد لحال مصر والعرب والمسلمين عن حب وإيمان وعقيدة.. ورثت العقيدة عن جدى لأبى وعلى إسمه نادونى - وكان رحمه الله وجيهاً فى قومته ومن حفظة القرآن - وعن أبى الذى ما رأيت قط يعرف اللين فى الحق.. زاد على ذلك ورسخ الشيخ إسماعيل الصادق العدوى حين هزنى فى شتاء ١٩٧٢م. قائلاً: (يا هذا! لا تُعَاتِبْ طالما أن فى السماء كتاباً).. ومن لحظتها بدأت أعنى بجوهر مسائل الحياة تأثيراً وتأثراً بفكر منفتح وفى إطار إيمانى.. وجدت أن التصنيف الموضوعى فى القرآن يعطى الدليل والمنهاج لفقهِ الحياة.. وأيقنت أن الفهم الكلى الموضوعى أساس للبناء العقلى السليم للموضوعات الحياتية القرآنية.

- تتبعت النداءات فى آيات القرآن: ﴿يا آدم﴾.. ﴿يا بنى آدم﴾.. ﴿يا أيها الناس﴾.. ﴿يا أيها النبى﴾.. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾.. ﴿يا موسى﴾.. ﴿يا عيسى ابن مريم﴾.. وقفت طويلاً متأملاً سير الأنبياء والمرسل.

- وتتبع كذلك الأمر والنهى والاستفهام والتوبيخ والتعجب فى القرآن الكريم فوجدت نسيجاً حياتياً علمياً عجباً.. فيه تكامل العلوم والفنون والأخلاق والأعمال والمتعة والزينة والتزين للحياتين الأولى والآخرة.. وعندئذ فهمت جوهر ومقصد معنى أول أمر إسلامى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق.

- وأدركت لماذا لا يقع التكليف فى الإسلام إلا على عاقل.. فعن على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿رفع القلم عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل﴾.. سنن الترمذى، سنن ابن ماجه، مستدرک الحاكم - الحديث رقم ٣٥١٤ فى صحيح الجامع.

- تيقنت يا أحباب! أن الإنسان كائن مُكلف: بالتفكير، والعمل، والعبادة فى شتى الصور، إقامة الأركان، والعمل، والكد، والكدر، والإبتغاء، والإعمار، والتعليم،

والتعلم، والتفكير، والجهاد فى سبيل الله، والخذ بأسباب القوة روحياً ومعنوياً
ومادياً، وإعمال السنن الإلهية ٠٠ من نكاح، وتكاثر، وهجرة وإحياء موات الأرض ٠٠
﴿لايكف الله نفساً إلا وسعها﴾

- فهتم القراءة يا ولدى ! على أنها قراءة عقل وقلب ٠٠ ولنتأمل قول الله تعالى:
﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ (الحج:٢٢:٤٦)
- فهتم أن القرآن ما أنزل إلا للعقلاء ذوى البصائر ٠٠ ونرجع إلى قوله تعالى:
﴿لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين﴾ وحياً أى عاقلاً (يس:٣٦:٧٠)
- فهم القرآن يا ولدى ! فى حاجة إلى اللسان القنول، والقلب العقول ٠٠ قرآن
قلب، وعقل، ولسان(لغة)، وعمل حياتى، وأخلاق !؟
- وفهت أن من هدف خلق الكون هو إستخلاف الإنسان فى الأرض ٠٠
﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ ٠٠

- وأدرت أخيراً يا ولدى ! أن القراءة الكونية التى نحن مطالبون بها هى
البحث وإعمال العقل والتجريب فى جوهر كل شىء ٠٠ وأثر وتأثير كل شىء على
بقية الأشياء ٠٠ نحن مكلفون يا ولدى بالانتفاع من كل شىء فى الكون ٠٠ نحن مكلفون
بإعمار الأرض، وجلب السعادة للإنسانية كلها، التى إستخلفها الله فى الأرض ٠٠

- سألت إبنتي: هل كتابنا هذا يحوى تفسير للآيات الكونية فى القرآن !؟
- أجبت: لا يا بنيتى ! هذا ليس بكتاب تفسير للآيات الكونية، فهذا شأن له أهله،
وأصوله، ومعارفه، وفقهاؤه ٠٠ وهو ليس بكتاب تخصص فى علم من علوم الحياة ٠٠
توحيد، إيمان، جغرافيا، فلك، رياضة، هندسة، زراعة، بحار، تشريح، أجنة، طب ٠٠
فهذه فروع لها معارفها ومناهلها وفقهاؤها أيضاً ٠٠ وهذا ليس بمعجم للأفاظ، أو
لبعض معانى وإشارات القرآن الكونية ٠٠ فالمكتبة العربية تذخر وتعيج بعظيم
الاعمال للسلف والخلف على حد سواء ٠٠ وهذا العمل أقرب ما يكون للتبويب
الموضوعى لآيات النظر فى القرآن وفى الحياة قديمها وحديثها ومستقبلها ٠٠
- صدقونى! فإن التعرض للكتابة فى آيات النظر الكونية القرآنية - مغامرة
وجرأة ٠٠ الدلل فيها ليس بالخطأ، لكنه الخطيئة ٠٠ ورجفة الكتابة فى هذا المجال
تفقد القلم وصاحبه جرأة وجسارة الإقدام ٠٠ فإتمام هذه الأعمال من نافذة قرآنية
يحتاج إلى إمكانات أمة وجهود كل رجالها ٠٠ إستنهاضاً لحضارة تليق بشرف

الإلتناء للإسلام..

- وحسبى بهذا الجهد تبسيط وتجسيد ومحاولة فهم آيات النظر القرآنية، ونقلها إلى جمهور الناس من المسلمين وغير المسلمين.. فى مجال سائر مخلوقات الكون - السماء، الأرض، المجرات، النجوم، الشمس، الأقمار، الشهب النيازك، الجبال، اليباس، البحار، الأنهار، الرياح، السحاب، البرق، الرعد، الصواعق، الزمن - الليل والنهار، حركة وسبح الشمس والقمر، وحركة الكون التى لاتهدأ، والغلاف الجوى الحاضن لنا الساقف لحياتنا بحيويته التى لاتنتهى..

- ونعرض فى هذه الدراسة للحياة الكونية فى اليباس والبحار.. لحياة النبات والحيوان والانسان.. لا لشيء إلا لأننا مكلفون شرعاً بالارتفاق والانتفاع من كل شىء خلقه الله فى الكون.. وهذا هو جوهر سُنَّة الخلق.. وسُنَّة التسخير..

﴿خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة: ٢٩) ..

﴿سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾

(لقمان: ٣١: ٢٠) ..

- خلق هادئ وديع طاهر نقى طيب، ونعبث به مُفسدينَ وفاسدينَ. خلق يسعد فيه الموحد، ويشقى فيه الملحد. يهنأ به المبتغى ويتعس الباغى. سعيد من أصلح الله باله، وأسلم وسلّم قلبه وخشعت نفسه وأعمل عقله ونقى هواجسه. فلع من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق مع ذاته ومع ربه وتاب وأناب وعمل عملاً صالحاً واتقى الله حق تقاته.

- سأل ولدى الأكبر: لماذا نُقصر الكتاب على آيات النظر فى القرآن؟!

- قلت: يا ولدى! آيات النظر فى القرآن يكلفنا الله تعالى فيها بالتدبر والتفكير ومعرفة كل شىء عن طريق العقل، فمن ينظر يُبصر، ومن لم يبصر يبقى فى الظلام حيراناً قلقاً.. ومن يتحير ويقلق يشك.. ومن يشك ويعقل ينظر ويبصر.. ويصل إلى إيمان القطع واليقين.

- وآيات النظر فى القرآن هى براهين حسية موصلة لإيمان القطع واليقين، لا لقلق الشك والتخمين.. بهذه الآيات، وعلى أساسها يبنى ويتشيد التوحيد والإيمان الخالص لله رب العالمين..

- ورأيت يا ولدى! أن الآيات الكونية القرآنية آيات عقل وعلم وإيمان وحياة.. ذات تكليفات وتأثيرات عقلية حياتية كلية جامعة:

- أولها: الإعجاز الحسى لقدرة وعزة وحكمة وابداع الله سبحانه وتعالى.
- ثانيها: التحفيز والاستنهاض للأخذ بفقهِ الحياة - فى الأطار الايمانى لحياة الانسان النفسية، والقلبية، والعقلية، والفكرية، والتربوية والتعليمية!
- ثالثها: التكليف الحياتى بالعمل والسعى والكد والابتغاء لحياة أفضل للانسان وأسرته ومجتمعه وأمته.
- رابعها: تقويم الحياة الخلقية والسلوكية للفرد والمجتمع، ولأولى الامر وللناس على حد سواء.
- خامستها التذكير بآثار السلوك الشاذ، وما يترتب عليه من اضطراب واختلال وفساد وفوضى ودمار.
- سادستها: وسطية الاسلام فى طبيعة العقد الاجتماعى بين الناس فى خصوصيات المساواة، الحرية، العدل، الشورى، تحريم الربا - بما يضمن استقرار واتزان الحياة فى الأسرة والمجتمع.
- سابعها: آيات النظر فى القرآن - هى آيات لسنن ثابتة؟! ..

- والنظرات هنا هى توليفة لتصنيف قرآنى موضوعى، وهى من ثوابت توجيهات الحق سبحانه وتعالى، وهى تنفذ لأوامر وأحكام، كما أنها ليست من باب الرأي؟! ..

- دورنا هنا يا أحباب! دور الناقل لسنن كونية ثابتة خالدة ما بقيت الحياة على وجه الأرض. ونحن مكلفون بإعمال العقل للتعرف على هذه السنن والسير على هديها المستقيم علمياً وإجتماعياً فى نسيج مترابط بين العلم والإيمان والحياة.

- قفزت ابنتى سائلة: ألم يُبْهَرْك شىءٌ بِدَاثِهِ؟! ..
- قلت: يا بِنْتِي! وقفت مبهوراً أمام الربط الإيمانى بين الحياة وسنن القرآن. ..
- وقفت أمام سنن التدرج، والمدافعة، والتداول الحضارى. .. فوجدت أن النظم السياسية المعاصرة تواجه أزمة فكرية مدمرة. ..
- فالاشتراكية مثلاً وهى مذهب التقارب المادى المقيد للحرية. .. (حيثما المساواة لا حرية). .. فى طريقها للتحلل والوداع من كوكب الارض، بسبب الاختلال فى التوازن بين المساواة والحرية.
- والرأسمالية التى هى مذهب الربحية الحرة، المقرونة بديموقراطية الأجل، المفتقرة إلى العدل الاجتماعى. .. (حيثما الحرية لا مساواة). .. تواجه هى الأخرى

أزمة كساد فى مجتمعاتها، وفى العالم أجمع..
والكساد العالمى العام ينبىء بأننا على بوابة مرحلة بشرية يسودها قلق واضطراب وفوضى وفساد فى كل شىء.. فى كل دول العالم.. بسبب غيبة الدافع الإيمانى فى المذهبيين.. وبسبب الصراع والتجزىء بين قيمتين كونيتين إنسانيتين.. فطريتين متلازمتين وأساسيتين.. الحرية والعدل!؟
- وعجبت واستغربت أن مفكرى النظامين يرتد كل منهما فى إطار فكر ومسرح النظام الآخر.. فالرأسمالية ترتد إلى الاشتراكية.. والاشتراكي ترتد إلى الرأسمالية.. وكليهما يقترب بالحتم والضرورة فى النهاية إلى الاشتراكية الديمقراطية كنظام مهجن.. والهجن لا تنجب يا أحباب!؟

- هذه النظم الثلاث تكابر وتعرض عن الإقتراب من الإسلام بتكاملية..
والعيب فينا؟! نعم!! نعم العيب فينا.. لأننا لم نقدم نموذجاً حياً واحداً
PROTO TYPE.. على سبيل التطبيق الواقعى.. أمراً بمعروف ونهياً عن منكر..
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ - آل عمران.

- وآيات النظر القرآنية والحال كذلك ثرية واسعة الثراء العلمى.. لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.. هى جديرة بالدراسة ليس فى المجال الكونى الضيق بل فى شتى مجالات الحياة.. فهى آيات ذات مرجعية مطلقة، أما العلوم البشرية التخمينية الفرضية ففى تغيير وتبديل بحسب رقة الفرضية ودقة القياس والتوقع.. فالبشر بشر.. يخطئ ويصيب.. أما آيات التنزيل فحق من حق.. من علام الغيوب.. من العزيز الحكيم.. سبحانه وتعالى.. من الله جل فى علاه.

- ويكفينا فخراً تلك الحرية العلمية الاجتهادية التى يعطيها الاسلام للعلماء من المسلمين ومن غير المسلمين وتأمل قول الله تعالى: ﴿لا إكراه فى الدين﴾.. حرية فى العقيدة.. مكانة خاصة للعلماء.. ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾.. ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾.. ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾..

- نتأمل قول رسول الله ﷺ: ﴿ليس شىء من الفرائض أفضل من طلب العلم﴾.
- ويقول الإمام على كرم الله وجهه: (العالم أعظم أجراً من الصائم القائم

الغازى فى سبيل الله)٠٠

- وينشد الإمام الشافعى فيقول:

يا معشر العلماء يا ملح البلد٠٠ من يصلح الملح إذا الملح فسد

- ومع إتساع الموضوع وشموليته٠٠ نقصر العرض على الكون والانسان فى

آيات القرآن٠٠ على أنها، وفى الاطار الايمانى٠٠ هى المنجم الإتفاقى الفكرى بين

البشر٠٠ كل البشر٠٠ من كل جنس ولون٠٠ وفى كل مكان وزمان٠٠ وهى سنن الله

الثابتة٠٠

﴿فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله

تحويلاً﴾ (فاطره٣٥: ٤٣)

﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الأحزاب٣٣: ٦٢)

﴿سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ (الفتح٤٨: ٢٣)

﴿الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل﴾ (الزمر٣٩: ٦٢)

والكون هو كل ما خلق الله من شىء٠٠

﴿وخلق كل شىء فقدره تقديراً﴾ (الفرقان٢٥: ٢)

- والانسان هو محور خلق الكون٠٠ من أجله كان خلق الكون٠٠ ومن أجله كان

تسخير الكون٠٠ ونتأمل قول الله تعالى:

﴿وهو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً﴾ (البقرة٢: ٢٩)

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم

نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾

(لقمان٣١: ٢٠) وما كان الخلق لعباً٠٠ ﴿إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾ (القمر٥٤: ٤٩)

- وما التسخير لإقرين تكليف الانسان بالانتفاع والارتفاق بما خلق الله٠٠

﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شىء يتفويها ظلاله عن اليمين والشمائل

سجداً لله وهم دآخرون﴾ (النحل١٦: ٤٨)

- وبعد خلق الكون وتهيئة للحياة٠٠ كان خلق الانسان٠٠

﴿الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين﴾ (السجدة٣٢: ٧)

- وجاءت الرسائل السماوية لتبيان سنن الخلق والتسخير وما ينفع الانسان

وما يضره فى الحياتين٠٠

﴿وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء﴾

(الأعراف:٧:١٤٥) إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة لسيدنا محمد ﷺ
﴿ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء
ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل:١٦:٨٩)
- فالقرآن مرآة الكون - تبيان كل شىء٠٠ ويفرض الله تعالى على الانسان
فرائض: التفكير٠٠ والتدبير٠٠ والتوحيد٠٠ والشكر٠٠ وعبادة الله رب كل شىء ٠٠
﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فأعبدوه وهو على كل شىء وكيل﴾
(الأنعام:٦:١٠٢)

- القرآن مرآة للكون وللحياة كلها٠٠ وهو مرآة لحياة الانسان البيولوجية٠٠ من
حيث خلقه ووجوده وحياته ومماته وبعثه وحسابه٠٠ والقرآن مرآة لحياة الانسان
النفسية والقلبية والفكرية والعملية والمالية٠٠ وهو مرآة الاجتماعية - فى ذاته،
وفى أسرته، وفى مجتمعه، وفى أمته٠٠

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الانبياء:٢١:٩٢)
﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون
بالله﴾ (آل عمران:٣:١١٠)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران:٣:١٠٤)

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا إهتديتم إلى الله
مرجعكم جميعاً فبينئذ كذمت تعملون﴾ (المائدة:٥:١٠٥)
﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ (البقرة:٢:٢٨٦)

﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (الطلاق:٦٥:٧)
﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا
تفعلون﴾ (الصف:٦١:٣)

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾
(البقرة:٢:٤٤)

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون﴾ (الشورى:٤٢:٣٨)

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف
عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ (آل عمران:٣:١٥٩)

وما من رسولٍ ولا نبيٍ إلا وقالها: ﴿إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم﴾ (آل عمران:٣:١٥٩)

﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْغَى رِباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٦٤)
 ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤)
 ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: ٤٠: ٦٤)
 ﴿قُلْ أَتُنْكُمُ لِلْكَافِرِينَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٤١: ٩)

- فالإلهية والربوبية والحال كذلك خلق وإبداع وتسخير وتسيير وتدبير لكل ما في الكون من ﴿كل شيء﴾ لصالح حياة الانسان في الدنيا والآخرة ..

- ويكفي القرآن أنه وضع الانسان في المناخ العلمي .. بالاثارة على النظر (بالسمع والبصر والفؤاد) في الكون الجمادي، وفي المعارف الانسانية، وفي قصص الانبياء، وتاريخ الأمم والحضارات السابقة ..

- ويكفي القرآن أنه يحض الناس على النظر والتفكير والتعقل للوصول إلى إدراك قوانين التسخير والارتفاق والانتفاع .. ومعرفة وإعمال هذه القوانين يحقق للانسانية الإعمار والتنمية المتكاملة - في الحياتين ..

- والقرآن كتاب مجيد كريم .. يعنى بالقديم والجديد - على حد سواء .. فهو والحال كذلك كتاب مستقبليات ..

﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ التمل.

﴿سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ فصلت.

- سأل ولدي: هل معنى هذا إن القران ذاخر بالسنن المادية والاجتماعية؟
 - قلت: يا ولدي! القرآن الكريم كتاب ذاخر بالآيات والحكم الكونية والاجتماعية على حد سواء .. وتأمل قول الله تعالى:

﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوى

شديد العقاب ﴿غافر ٢١، ٢٢﴾

فالفهم الصحيح للقرآن يلزمنا أن نقرأه ثلاث قراءات:

١. نقرأ الكون في القرآن..

٢. ونقرأ الحياة الجمادية والبيولوجية في الكون والقرآن.

نقرأ لتتعلم جوهر الأشياء.. ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من

علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.. قراءة متكاملة كلية..

٣. يتبع ذلك يا ولدي! أن القرآن يطالبنا بقراءة ثالثة وهي قراءة الحروف.

- ويطلبنا الله تعالى بأن نتعلم القراءة والكتابة والتدوين بالقلم لنستفيد بتراكم المعارف البشرية، ولنوصل حلقات العلم البشري لكل زمان ومكان؟! -
فقراءة حروف اللغة هي لعموم الناس، أما قراءة حروف لغة نشاطات الأرض والكون وقراءة أسرار الحياة البيولوجية والجمادية فلخواص البشر؟!!

﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾

الفقرات الثلاث.. قراءة الكون، وقراءة الحياة البيولوجية فوق الأرض

وتحت الثرى، وقراءة الحروف.. والقراءات الثلاثة وجه واحد متكامل لفقه الحياة، وهذا أساس، لا غنى عنه، يتكامل مع فقه العبادات والمعاملات.. وبهم الثلاثة يتكامل الفهم الصحيح لرسالة الاسلام الخاتمة الخالدة!؟

- وهذا هو جوهر ما فعله أسلافنا العظام.. الذين أفسحوا لدينهم مكاناً بارزاً

في مجريات حياتهم بحثاً وتنقيباً وكذاً وكذاً بين صلاتين.. صلاة المسجد.. وصلاة المعمل، والمختبر، وقاعة الدرس والبحث.. وهذا هو مفتاح الحضارة الاسلامية

..

- وخير تعليم للقرآن ولسننه المتكاملة بلغة تنزيهه يا أحباب!.. اللغة العربية..

وهذه اللغة أسأنا معاملتها بالترك والإهمال.. وتفشى الهبوط إلى العامية.. حتى إن لغة الخطاب، والفكر، والثقافة، والاتصال، وهي لغة القرآن أصبحت في خطر!؟..

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف ٤٣: ٣) ..

﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ١٢: ٢) ..

﴿كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾ (فصلت ٤١: ٣) ..

﴿قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر ٣٩: ٢٨)

- من هنا فنحن مكلفون بإجادة اللغة العربية، ومكلفون بنشر تعليمها بين كل

الناس، وبين كل شعوب الأرض، ومن خاصتهم شعوبنا الإسلامية الغير ناطقة بالعربية.

- نحن مكلفون أيضاً بإجادة كل لغات العالم - كفرض كفاية.. ليتسنى لنا الاستفادة من علوم البشر على كوكبنا.
- وعلماء التربية يقررون أنك إذا سمعت نسيت.. وإذا رأيت ونظرت تذكرت.. وإذا عملت تعلمت؟!.. فالمنصت لما ورد بشأن سنن الكون، الراصد لها المتدبر فيها، الباحث فى مضمونها، الخاضع لها، العامل بمقتضاها - يسعد وينعم لا محالة بخيرات الكون، وإلا دارت عليه الدوائر وانقلبت عقاباً ووبالاً - إن هو جهلها، أو قاومها، أو أهملها، أو لم يخضع لها..
- هذا هو جوهر الأوامر والتكاليف القرآنية.. وهى هى جوهر العلم.. وجوهر الحكمة.. علم، وفن، وشعور، وممارسة، وجد، وكد، وتضامن، وحرية، وعدل، ومساواة..

- وآيات النظر فى القرآن تثيرنا إلى التفقه فى كل ماخلق الله من شىء فى الكون.. ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾.. وتثيرنا لإيجابية العمل العلمى ﴿علم الانسان ما لم يعلم﴾.. بالرؤية والنظر والسماع والتعليم والتعلم.. وهذا هو عين الابهار العلمى التجريبي القرآنى..
- وآيات النظر فى القرآن فيها تكليف لنا بإعمال العقل والفكر فى إطار السنن الكونية والاجتماعية - من خلق وتسخير وإرتفاق..
- ﴿خلق لكم﴾.. ﴿سخر لكم﴾..
- وآيات النظر فى القرآن تحضنا على الالتزام بالفطرة، والبعد عن الهوى، وأخذ السنن بكليتها.. سنة التسخير.. سنة الأجل.. وسنة البقاء والبقاء.. وسنة التدرج.. وسنة المدافعة فى قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾.. وسنة التداول الحضارى فى قوله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.. وآيات النظر فى القرآن يستوقفنا فيها أن شمولية القرآن كشمولية الكون.. بمعنى أن القرآن كون معنوى.. ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ - يطل بمرآته على الكون المادى ﴿كل شىء﴾.. فالشيثية فى القرآن مرآة للشيثية فى الكون.

- والقرآن هداية ورحمة وبشارة للمسلمين ٠٠ ﴿ونزلنا عليك القرآن تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾ (النحل ٨٩) ٠٠ والله يقسم بعظمة الكون على عظمة القرآن يقول تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين﴾ (الواقعة ٨٠:٧٥)

- وآيات النظر في القرآن ٠٠ عقلية، علمية، روحية ٠٠ فقهها فقه العلوم العلمية العملية والاجتماعية والاخلاقية والايمانية ٠٠ وهذه العلوم لها أساليب قياس ومعيارية نتائج - بقدر التعمق في مكنونها

- وحتى الامثال القرآنية ٠٠ بدءاً من غراب هابيل وقابيل، والبعوض، والذباب، والنمل، والنحل ٠٠ تدحض إفتراءات النشوء والتطور والارتقاء وإنكار الربوبية ٠٠ وتعطى للانسان نموذجاً راقياً في التخصص، وفي السلوك الاجتماعى الانضباطى فى الجماعة ٠٠ اختصاص الاعمال ٠٠ جمع الغذاء، وتخزينه، عند وفرة - لوقت ندرته ٠٠ عيشة تحت سطح الارض - أو فوق سطحها - أساسها النظام والنظافة ٠٠

- وآيات النظر فى القرآن ٠٠ هى أساس مكنون الحضارة الاسلامية ٠٠ وكذا هى أساس الحضارة الغربية التى نسخوها من حضارتنا الاسلامية ٠٠ وشيدوها عليها؟! ٠٠

نحن أثرياء أغنياء فى فقه العبادات والمعاملات على مستوى الفرد والامة ٠٠ ولنا فيه ذخائر وتراث ٠٠ وللأسف الشديد إختلافنا فى هذا الفقه الواضح البسيط ٠٠ والاكثر من هذا أننا فقراء بخجل فى فقه الحياة وفقه الكون؟! ٠٠

- سأل ولدى: هل هذه أجندة؟! ٠٠ جدول أعمال؟! ٠٠ أو ماشابه ذلك؟! ٠٠

- قلت: يا ولدى! هى هكذا تماماً ٠٠ فالعمل كبير ٠٠ وكبير جداً يا ولدى! ٠٠ يحتاج لمؤسسات وهيئات وجمعيات ٠٠ ومثلى ضعيف ٠٠ مسلم عادى ٠٠ تخصص فى بعض العلوم التجريبية ٠٠ وثقافته العلمية فى المستوى المألوف لانسان عادى ٠٠ شدتنى آيات النظر فى القرآن لسنوات ٠٠ حاولت فيها أن أعيش بكل شعورى مع موضوعات آيات النظر فى القرآن ٠٠ آيات الرؤية والابصار والتدبير والتعقل

والتفكير والتذكر والتبصر.. آيات (السمع والبصر والفؤاد).. وما غاب عنى لحظة إنزالها على الانسان - أى إنسان.. محل وغاية نزول القرآن..

- ووجدت عجباً فى الترابط الشبكي الموضوعى والموضعى من الناحية العلمية لمختلف النشاطات فى فقه الحياة والعلوم.. كل العلوم.. فى آيات القرآن..

- وسألت نفسى: هل أصبح فى هذا المجال وليس لى به طاقة؟!..

- قلت: على الله التوكل.. منه الجزاء.. ومنه المغفرة..

- آمنت بأن سر تخلفنا عن الركب العالمى مصدره الاختلاف والتجزىء فى فقه العبادات والمعاملات.. فى ذات الوقت.. تغيبتنا وبُعِدنا عن فقه الكون والجوامد وفقه الحياة.. الفقه الأشمل..

- حقيقة نحن أهملنا فقه التكليف بإرتفاق كل شىء والانتفاع من كل شىء.. فقه التدبير.. وفقه إرادة الحياة.. وغيبنا وابتعدنا عن الفقه الكلى للقرآن.. وفعلاً قلت لنفسي الحصيلى هذه إطار.. نعم إطار.. هى جدول أعمال للمتخصصين، كل فى حقله، أو فى معمله، أو فى مصنعه، أو مكتبه، أو حتى فى لحظة تأمله.. - جدول الأعمال هذا.. لاختلاف عليه بين أبناء الأمة.. ولا حتى بين أبناء الأوطان من المسلمين وغير المسلمين.. وهذا فى حد ذاته كافٍ للطرح العام.. من الناحية الشكلية، والموضوعية، والغائية..

- أستشعر الخير فى الإهتمام بفقه الكون والحياة فى القرآن.. فبهذا نُحَد ونُقَلص من الخلاف الذى لاجدوى من ورائه فى فقه العبادات والمعاملات.. وبهذا قد نُقدم على مختلف نشاطات الحياة بأسباب القوة والتقدم، والإعمار، والحضارة.. ملتصقين سنن السلف الصالح، من علماء المسلمين وغير المسلمين، فى الأقطار الإسلامية..

- سألت نفسى؟! هل لهذه الأجندة.. لجدول الأعمال هذا.. مؤسسات وهايكل وآليات بذاتها تعنى بالعناصر؟!.. وهل لجدول الأعمال هذا؟! حدى عمرية للناس المطروح عليهم عناصرها؟!..

- ووجدت الإجابة.. أن الأجندة المقترحة تصلح إطاراً للمؤسسات العلمية والتعليمية والبحثية والتدريبية القائمة.. وتصلح كذلك للكليات الذاتية والخاصة - للفرد وللأسرة.. وتصلح لكل الأعمار التى تُنكف ذاتها، أو تُحاول أن تتعلم، أو

أن تتدرب - على فنون الحياة وجرّفها ٠٠ بمبادرات ملتزمة بالغاية وبالوسيلة ٠٠
 - جدول الاعمال هذا نظرات ذاتية ٠٠ عشتها بإحساس صادق مع آيات النظر في
 القرآن من حيث الهدف والغاية ٠٠ أعمّلتُ فيها قلبي وعقلي إبتغاء مرضات الله ٠٠
 هي نظرات في آيات التدبر والنظر ٠٠ في الخلق، والإنشاء، والتسخير، والجعل،
 والإنزال، هي إعمال للفطرة (السمع والبصر والفؤاد) في الكون والقرآن -
 بالمقاصد والمرامى التي تتمشى مع القصد، ومع عصرنا، بمختلف علومه وفنونه ٠٠
 وإن شئت قل ٠٠ هي نظرات اسلامية علمية عقلية روحية كونية إيمانية قرآنية !!

- وفي آيات النَّظَر يربط القرآن في إحكام بديع بين السمع، والبصر، والفؤاد،
 والعلم - تعليماً وتعلماً - في قول الله تعالى:
 ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
 وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٦: ٧٨)

- والقصد من ذلك نتحسس أسرار الحياة ٠٠ وسننها وقوانينها ٠٠ ومواقعها
 وموضوعاتها ٠٠ وتأثيرها وتأثرها ٠٠ وأسبابها وغاياتها ٠٠ واتزانها ٠٠ وفسادها ٠٠
 واختلالها ٠٠ وبمارها ٠٠ فالنظر بالعين والفؤاد في كون الله ٠٠ في كل شيء خلقه
 الله ٠٠ من سماء، ومجرات، وبروج، ونجوم، وشمس، وقمر، وليل ونهار، وظلمات
 ونور، وما في الأرض جميعاً من كل شيء ٠٠ ما عليها، وما في باطنها، وما تحت
 الثرى ٠٠ يأخذك كل هذا ٠٠ ومن حيث لا تشعر ٠٠ الى معبد إيماني ٠٠ وأنت الراصد
 المستريح ٠٠ وكل شيء من حولك في ديمومته الحركية التي خلقه الله من أجلها ٠٠
 تسخيراً وتوظيفاً ٠٠ لخدمة الانسان ٠٠ خليفة الله في الأرض ٠٠ حيث يقول تعالى:
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق ٦٥: ١٢)

- ومن يتأمل في آيات النظر في القرآن الكريم يلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد
 خلق الكون المادى الملموس، وأنزل القرآن كون الله المعنوي ٠٠ وجعل من كل
 منهما مرآة للآخر ٠٠ تأمل قول الله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك ٦٧: ١)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان ٢٥: ١)

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾

(الفرقان ١٠)

ولا يمكن أن يتم الايمان .. وتتزن الحياة البشرية إلا بالكونين معاً .. الكون المادى والكون المعنوى ..

- ونتأمل قوله تعالى: ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ (الأعراف:٧٤هـ)

- وبقدر عمق فهم النظر والتدبر فى الكون المادى الفسيح يكون التوحيد .. ويكون الايمان .. وتكون التقوى ..

بهذه البساطة كانت بداية إيمان سيدنا إبراهيم يوم أن أراد الله له أن يعمل بصره وبصيرته فى كون الله فبدأ متيقناً وإنتهى أكثر يقيناً منفرداً سابقاً بالايمان فى قومه . أما المشى والسير والهجرة والرؤية والنظر بالعين والفؤاد فى آيات الله و فى كل مخلوقاته على الأرض - زيادة فى المعرفة والعلم، وترسيخ وتثبيت للايمان .. وجاءت كل الرسائل متخذة من الحياة الكونية دليلاً وبرهاناً على الربوبية والوحدانية ..

- فهل ياترى النظر والتفكر والتأمل فى خلق الكون وتسخيريه وتديبره وإدارة شئونه مُجمَع تَرَ اكْمِي للعلوم والمعارف .. وَجَازِبٌ للايمان؟ ..

- نعم هو بلا شك كذلك .. هو العلم والمعرفة .. وهو الجاذب الايمانى .. والدافع الفطرى لصدق العبودية، وتمام الطاعة، والالتزام - بين العبد وربه ..

جاء القرآن حاضاً ومثيراً لهذه الدفعية الفطرية الايمانية بالرؤية والنظر .. بالعين والقلب .. وبالفراصة والاستشعار فى الكون الالهى - فى كل مخلوقات الله وآياته .. الحى منها والجامد .. القريب منها والبعيد .. الملموس منها والمحسوس .. الظاهر منها والباطن .. المنظور منها والمسطور .. فكانت بداية الوحي على نبينا صلوات الله وتسليمه عليه بالآية الكريمة:

﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم﴾

وهنا يربط القرآن فى احكام بديع بين الخلق الكونى المنظور .. لكل ما خلق ﴿كل شىء﴾ وبين الخلق الكونى المسطور ﴿القرآن الكريم﴾ !!

فمنظومة الخلق الكونى العام، والخلق البشرى الخاص للسمع والبصر والفؤاد، والهوب الالهى للانسان من علوم الله .. ماهى إلا توافقات زمانية ومكانية .. لإسعاد البشر .. فى كل زمان ومكان .. شريطة أن يعمل الإنسان مداركه ومجهوداته الإبتغائية فى كل دروب الكدح والعمل فى الحياة .. فى حدود منهج الله سبحانه وتعالى .. متبعاً أو امره مجتنباً نواهيه ..

- والإثارة القرآنية لدراسة الكون جاءت في قول الله تعالى:

﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس:١٠)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٩:٢٠)

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ

عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (فاطره:٣٥:٤٤)

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت:٤١:٥٣)

- ويتكرر الأمر والاستفهام الإلهي في آيات النظر في القرآن ب: ﴿أَنْظُرْ﴾ ..

﴿فَانظُرْ﴾ .. ﴿أَنْظُرُوا﴾ .. ﴿فَانظُرُوا﴾ .. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟! .. ﴿أَلَمْ يَرَ﴾؟! .. ﴿أَلَمْ

يَرَوْا﴾؟! .. ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾؟! .. ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾؟! .. وهي إثارة لفحص الكون كله

وتدبره ذاتياً وجماعياً.. وإثارة أكبر لدراسة خَلْقِ البشر والايبل:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟! (الذاريات:٥١:٨)

﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟! (الطور:٥٢:٣٥)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَهُمْ﴾؟! ..

- ويتكرر الاستفهام: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾؟! ..

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا

يَسْمَعُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾؟! .. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾؟! ..

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾؟! .. ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا﴾؟! .. ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا﴾؟! .. ﴿أَوْ لَمْ

يَنْظُرُوا﴾؟! .. ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا﴾؟! .. ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾؟! .. ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾؟! ..

- فالأمر والحال كذلك تكليف بالدراسة والتعمق في ﴿كل شيء﴾ والارتفاق

والانتفاع من ﴿كل شيء﴾.. في إطار المنهج القرآني.

- والتكليف في حدود السعة والقدرة والإدراك.. من كافة الوجوه المادية

والذهنية.. في شتى نشاطات الحياة الاقتصادية والاجتماعية..

﴿لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا﴾ ..

﴿لَا يَكْفِ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ ..

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:١٦):

- سألت ابنتي: ماذا عن التراث والعلم والكون والقرآن!؟

- قلت يا ابنتي! القرآن إذ يثيرنا للنظر والرؤية بمسیر ورحلات.. فالإثارة والحال كذلك.. تكليف وإستنهاض لدراسات جغرافية شاملة أرضية وكونية فضائية.. وعلم الجغرافية.. هو من العلوم التجريبية.. التي تبحث في كل مظاهر سطح الأرض الطبيعية والبشرية.. وتشعبت إلى جغرافية التضاريس.. وجغرافية البيئة.. وجغرافية الكون.. وجغرافية الأقاليم.. والجغرافية السياسية.. والجغرافية الحيوية.. والجغرافيا الفلكية.. والجغرافيا الاقتصادية.. والجغرافيا البشرية.

وجاءت مسميات التراث الجغرافي الإسلامي تحت عنوان البلدان وتقومها، أو المسالك والممالك، أو الخرائط، أو التقاسيم.. وجاءت هذه الأسماء في كتب المسعودي (كتاب التنبيه)، والمقدسي (أحسن التقاسيم)، وابن رسته (الأعلاق النفيسة)، وابن خلدون (المقدمة)، والخوارزمي (صورة الأرض).. الكتاب الذي قال عنه نلليو.. إن مثل هذا الكتاب لاتقوى على وضعه أمة أوربية في فجر نهضتها العلمية!.. والكتاب يعالج دوائر العرض وخطوط الطول، والجيال، والبحار، والأنهار، وأسماء المدن.

- أما المرحلة الثانية لتطور الجغرافيا عن المسلمين ومن علماء هذه المرحلة ابن خرداذبة والإصطخرى وابن حوقل والمقدسي وابن فضلان والمسعودي والهمداني، ثم الشريف الإدريسي وعبد الله البكري. وإتجهت البحوث الجغرافية إلى الدراسات العامة، كذلك إلى الدراسات التخصصية (صفة جزيرة العرب) للهمداني و (كتاب الهند) للبيروني. وبدأت مرحلة وضع المعاجم (معجم ما أستعجم) للبكري (معجم البلدان) لياقوت الحموي. وفي الوقت الذي كان يجوب فيه المقدسي العالم كله طولاً وعرضاً ليكتب كتابه في القرن العاشر في جغرافية الأرض وشعوبها، واضعاً المنهج العلمي للجغرافيا الحديثة.

- ونفس الكلام هو هو في علوم الرياضيات والطب والصيدلة والفلك والهندسة..

والآن إنقلب الوضع من حال إلى حال.. فالمسلمون عن العلم منصرفون.. وغيرهم على المنهج العلمي سائرون.

- والهمداني الذي ألف (صفة جزيرة العرب) وهو يمني الجنسية، أضاف إليها ثلاث كتب أخرى (الأكليل)، (سراء الحكمة)، (الجوهرتين العتيقتين) ولقد

رسخت كتب ومحتويات (المسالك والممالك) أو صورة الأرض لأبي القاسم محمد بن حوقل الموصلي، (كتاب الهند) للبيروني ونزهة المشتاق في إختراق الآفاق (للشريف الإدريسي)، و (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) لشهاب الدين أحمد بن ماجد النجدى - ملك الملاحة - وهو بحق كتاب فلك وملاحة وأجهزة وهندسة شواطئ، وحتى أن فاسكورى دى جاما الرحال البرتغالى إستعان به فى رحلاته الشهيرة، وأما الرحلات التاريخية المسجلة لسليمان السيرافى، وأبو حامد الفرناطى، وابن جبير، وابن بطوطة وغيرهم فكل ذلك أرسى ودعم الأصول البحثية لعلوم الجغرافيا.

- وأدت البيئة الصالحة للعلم فى ظل الأمن الإسلامى، وفى ظل حرص الخلفاء والأمراء على معرفة البلاد، والقيام بالعديد من الرحلات للتعرف على أحوال البلاد والعباد، وعاداتهم وتقاليدهم.. وبهذا تدفقت مشاعر الإخوة، وتآلفت القلوب، وتوثقت العروة بين النفوس، وعرف المسلمون زمامات وأحوال بلادهم من الصين إلى روسيا ودول الكومنولث إلى الشمال الأفريقى إلى الأندلس وأفريقيا على امتدادها!

- هضم الأمراء والولاة فقه الكون، وفقه الحياة، وفقه الدين، وفقه الإعمار وفقه الإيمان.. وفقه الولاية - بالمفهوم الاجتماعى والاقتصادى والبشرى.. حتى أن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال: ﴿لو تعثرت بغلة بأرض العراق لسئل عنها عمر! ياويل عمر!﴾

بهذه التراكمات كانت الحضارة الإسلامية، إعماراً، وعدلاً، وحرية، ومساواةً بين الأوطان، وثقة فى الله، دنيا وآخرة.

والمُسَلِّم به أن الرحلة الجغرافية وعيونها المبصرة هى معمل العالم، وقلم التدوين فى صفحات العلم.. وبهذا المفهوم أسس العرب والمسلمون هذا العلم الذى يلعب الدور الهام والرئيسى فى حياة الشعوب.. وأخذوه أحد السبل للإعمار والتخطيط العمرانى والتنمية الحقيقية.

- ومن حيث أن الجغرافيا كعلم نبتت وترعرعت فى البيئة الإسلامية وعلى يد العلماء المسلمين، وهى أصل الأصول فى العلوم السياسية والاقتصادية.. ومن هنا كان لهم التقدم والسيادة.

ويثيرنا القرآن بالنظر والتفكر لما فوق الارض وما تحت الثرى إستنهاضاً للدراسات البيولوجية للكائنات الحية٠٠ ويثيرنا للاستنهاض بالدراسات الجيولوجية٠٠ والحال كذلك فهي إثارة لدراسة موارد باطن الارض من الوجوه كافة٠٠ فديدان الأرض وحشرات وقوارضها وحبوبها وجذور نباتاتها وممالك الحياة فى البيئة البحرية مكونات رئيسية فى علوم الأحياء!٠٠ وهى علوم أسس لها علماء الاسلام!٠٠ أما نحن فتغيبنا عن ساحات العلوم الحياتية وأهملنا تكليفاً شرعياً قرآنياً!٠٠ وعلم الجيولوجيا - هو فى الحقيقة من وضع العلماء المسلمين وهم بحق مؤسسوه، وواضعو أسسه النظرية والعملية ومن أبرز علماء الإسلام فى هذا المضمار ابن سينا والرازى والكندى والهمداني والإدريسى وياقوت الحمري٠

وإذا كان الأمر وبإختصار شديد يُعرَف علمياً بأن٠٠ الجغرافيا - تعنى بعلوم سطح الأرض بشمولية المفهوم٠٠ وأما الجيولوجيا - فتعنى بعلوم باطن الأرض ومناجمها، وخاماتها البطنية والجبليّة٠٠ وهذا يتيح الرصد والتسجيل العلمى لسطح، ولباطن الأرض - ومن كل الوجوه العلمية٠٠ مع الأخذ فى الإعتبار تأثيرات الزمن على كل مايرصد من تغييرات طبيعية وإجتماعية وإقتصادية وسياسية٠٠ - ومن حيث أثارَتَا القرآن بالنظر والتفكر ودراسة الأفلاك والأبراج والنجوم والكواكب٠٠ فهي إثارة للدراسات الفلكية والكونية والفضائية المجردة٠٠ التى لاتعرف الشعبوية ولا القومية٠٠ والحال كذلك - هى إثارة لدراسة الموارد بطريقة أعم وأشمل٠٠

- وفى العصر الحديث فإن الرحلة العلمية الجغرافية والبيولوجية أخذت بعداً أعم وأشمل من المفهوم العادى للرحلة البرية، ونقلتنا، وإنتقلت بنا - إلى الرصد من أعلى الكرة الأرضية - بواسطة الأقمار الصناعية، وبرحلات الفضاء !! ومن هنا تعرضنا لغزو الفضاء وعلومه٠٠ ولتحليل برنامج وكالة ناسا للفضاء، كنموذج عصرى حديث لتوظيف وسائط العلم الحديث لخدمة علوم الجغرافيا، والجيولوجيا، والعلوم الكونية، والطبيعية!

- والقرآن الكريم يثيرنا كذلك للتعلمق فى الدراسات التاريخية والدراسات الحضارية٠٠ بإيمانها وبماديتها وتاريخها٠٠ بقصصها وأمثالها٠٠ بعبرها وعظاتها٠٠ وإذ جاء القرآن بقصص الأولين، وبسابق أحوال السابقين - فهو يثيرنا للدراسات التاريخية٠٠ والنظرات الكونية فى الملك والممالك٠٠ كون الله

وخلقه وملكه، وممالك المخلوقات .. الانسان، والنبات، والحيوان، والحشرات، والأسماك، والطيور، والطحالب، والفيروسات .. والمادة والسبيكة .. والخطة واللون .. والماء والدخان .. والغذاء والكساء .. دراسة كل الأحياء، وكل الجوامد .. دراسة كل العلوم الطبيعية وكل الطاقات - طاقة الضوء والحرارة والرياح والمد والجزر - طاقات الانارة والتدفئة .. ويثيرنا كذلك لدراسة النداءات القرآنية، والقصص القرآني، والاجتماع والتغير الاجتماعي، والتداول الحضارى .. !!

إذن فنحن مكلفون بدراسة كل علوم الحياة وفقهها .. ودراسة تأثيرها وتأثرها .

- سألوا فى تعجب: وكيف نؤدى كل هذه التكاليفات!؟

- قلت : ياسادة خففوا عن أنفسكم .. نحن المسلمين جميعاً .. مكلفون بأن ننشى لكل شىء مدرسة أو معهداً أو كلية أو مركز دراسات بحثية! .. تكرارية أو متفردة بحسب الزمان والمكان والإمكانات .. فالاسلام والحال كذلك دين يعالج فقه كل علوم الحياة! .. والقرآن الكريم بآياته الكونية يدفع المسلم .. وغير المسلم .. إلى النظر والفحص والاستقراء وهذا هو العلم التجريبي .. الذى يُعْمَلُ وَيُوظَّفُ العقل والقلب فى آن واحد طريقاً لليقين والايمان والخشية والخضوع لصاحب الملك والملكوت .. والآيات الكونية القرآنية .. على وجه الخصوص .. تدفع للعمل والكسب والابتغاء .. وتدفع للعلم والبحث دفعاً .. فلا إيمان بغير عمل وإتقان، ولا خشية بلا علم وتفقه .. وتأمل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

ناهينا أن الآيات القرآنية هى المرجعية المطلقة للعلم، وتأمل قول الله تعالى:

﴿وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها﴾ (الزخرف: ٤٣: ٤٨)

والآيات الكونية جاذب أعظم للايمان .. وملتقى أكبر للفكر والعلم والتقدم والتحضر .. والآيات الكونية هى المنجم الإتفاقي بين البشر!

والآيات الكونية فى القرآن تثيرنا لتنظيم الوقت! ..

ورأس رأس المال الوقت! ..

فالليل للنوم والراحة .. ووقت السحر لقراءة القرآن .. ووقت البكور للكد والكسب والابتغاء .. ووقت الظهر للمقيل والراحة .. ووقت العصر لمعاودة الإبتغاء والسعى .. والصلوات الخمس لميقاتها .. فالصلاة بميقات .. والمؤتمر الأسبوعي يوم الجمعة .. وبانفصاض مؤتمر الجمعة - حث على الإنتشار،

والإبتغاء، والكد، والكدح.. برمجة للوقت، وحث على الأخذ بالإرادة الجادة للحياة الكريمة.. وفى ذلك قضاءً على القلق، والاضطرابات الذاتية والجماعية! وتنظيم الوقت والإهتمام فى العمل هو الطريق الوحيد للسعادة وراحة البال والقضاء على القلق والاضطراب.. وبخاصة بين شباب الأمة الإسلامية!

إختلافاتنا سطحية فى شكلية فقه العبادات والمعاملات! أما فقه الحياة.. فنحن عنه غائبون.. مُغَيَّبُونَ.. مُعْرَضُونَ.. لَأَهْوَنَ؟! ولا شك أن فى خلق الكون التحدى.. وفى تسخير القبول.. وفى تدبيره الرحمة.. وللإنسان الخلافة فى الأرض.. وللإنسان شطط.. وفى القرآن النهى.. فى التقوى بركة وعلم.. والله يهب العلم من يشاء، ويؤتى الحكمة من يشاء من عباده، ﴿ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾

فى الإيمان سكينه وراحة.. وبالإيمان والتقوى - ييسر الله الرزق، والكسب، والعلم، والرضا، والاطمئنان.

فالإشارة للتعلم فى الدراسات الكونية ثلاثية البعد: عبارة.. وعلم.. وعمل! ويتناول هذا الكتاب.. فى محاولة متواضعة.. نظرات فى الآيات القرآنية الكونية وفى فقه الحياة.. وهى آيات لاخلاف عليها فى الجوهر بين المسلم وغير المسلم.

- سألت زوجتى: وأين الدفعية إذن من هذا الاتفاق؟!..

- أجبت: الاتفاق هنا إتفاق جوهر.. بإطلاقات جوهر الأشياء، وجوهر الرسائل السماوية، وجوهر الإيمان!.. والناس بالطبع ليسوا كذلك!.. والدفعية سنة سماوية مؤكدة يعلمها رب الانفس وخالقها..

﴿لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾

وأحسب أن كتابنا هذا.. فى جملته.. يمثل مائدة علمية إتفاقية إيمانية - للشباب المسلم والشباب غير المسلم.. هم فى مسيس الحاجة إليها اليوم قبل الغد.. حتى تضيق من هوة الاختلاف، والجدل، والفرقة، والتعصب الأعمى!

والآيات الكونية.. فى الاجمال الجمادى والاجتماعى والسياسى.. وردت قرينة الخلق، والتسخير، والجعل والارسال، والانزال، والإصلاح، والإفساد.. وهى أمور لا خلاف عليها.. وهذا معناه أننا مكلفون بالاتفاق والانتفاع المتكامل - بكل ما خلق، وسُخِّر، وجعل، وأرسل، وأنزل، نصلح ولا نفسد.

والحال كذلك فالآيات الكونية تحوى موضوعات علمية مادية وإجتماعية ملموسة

لكل ذى بصر وبصيرة، وتَدَفَّع إلى البحث والجد والاجتهاد والتقدم والرقى.. إستنهاضاً لذواتنا، ولشعوبنا العربية، والاسلامية - فى جميع الموضوعات الحياتية.. علوم ﴿كل شئ﴾.. والتي هى أساس كل تقدم عصرى ومادى. وعلى رأس هذه العلوم (الشيئية) الجغرافيا بشموليتها، وعلوم الجيولوجيا، والطبيعة، والرياضة، والكيمياء، والطب، والفلك، والصيدلة، وعلوم الزراعة، والصناعة، وعلوم الفضاء.. وكل مايتبع ذلك من علوم، وفنون، وحرف، وصناعات.. وأيضاً علوم التاريخ، والسير، والقصص القرانى، والحكم الاجتماعية الخالدة لسابق الامم والشعوب، بمنظور قرآنى.

والسبيل الوحيد للاستنهاض الحضارى العربى والاسلامى أن نعى بهذه الموضوعات العقلية الكونية فى جميع مؤسساتنا: جامعة الدول العربية، وفى منظمة الشعوب الإسلامية، وفى مدارسنا، ومعاهدنا، وجامعاتنا، ومؤسساتنا البحثية المتخصصة.. قراءةً ودراسةً عميقةً ومتكاملةً - لكل ما أورده كتابنا المقدس.. القرآن الكريم.. الذى لاتنتهى عجائبه.. وحتى قيام الساعة. ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد﴾ (فصلت: ٥٣) وحرام أن نتفرق شيعاً وأحزاباً.. مهدرين الطاقات، والجهود، والموارد - فيما لاعائد من ورائه.

- سأل ولدى متعجباً: هذه الأجندة لابد وأن تكون كبيرة جداً ؟!

- قلت: يا ولدى! هذا صحيح!.. لذلك جاء كتابنا - الأجندة - فى جزئين:

الجزء الأول.. الكون فى آيات القرآن.

الجزء الثانى.. الانسان فى آيات القرآن.

وإستغرق العمل فيهما قرابة الست سنوات.. إستعنت فيه بصفة الأساس بكل ماصدر، ووقع تحت يدي عن الاعجاز البيانى والعلمى والطبى فى القرآن الكريم.. وإستعنت كذلك بالعمل الرائع الذى أنجزته الشركة العالمية للكمبيوتر صخر فى مباحث القرآن والسنة.. واستعنت بالعمل الجاد الذى سجلته وطورته شركة سلسبيل.. فى خصوصية مباحث القرآن الكريم.. والحمد لله كان للمنهج البحثى الموضوعى النتائج المتواضعة التى أضعها بين يدي القارئ الكريم.. فى شبه تصنيف موضوعى كونه متكامل للآيات الكونية.. ولايكتب أبداً لهذا التصنيف الموضوعى الإستقلال عن التصنيف والتحليل الموضوعى.. الذى يذخر به تراثنا

الإسلامى فى كتب التفاسير، والتصنيفين الموضوعى والموضوعى يكملان بعضهما البعض .

ويقع الجزء الاول، نظرات كونية فى آيات القرآن، فى أربعة أبواب:	
الباب الاول:	الكون والتوحيد فى آيات القرآن.
	الإنشاء والتسخير والتدبير.
الباب الثانى:	المنظومة السماوية والحياة فى القرآن.
الباب الثالث:	المنظومة الأرضية والحياة فى القرآن.
الباب الرابع:	غزو الفضاء فى القرآن.

- سألت ابنتى: هل يمكن أن تعطينا فكرة مبسطة عن هذ الأبواب !؟

- أجبت: بنعم!، واستطردت قائلاً: .

الباب الاول، الكون فى آيات القرآن، يقع فى فصلين:

و يقدم الباب لمفهوم الكون، من حيث هو كل ماخلق الله من شىء، جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وسموات، وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما .

والمقرآن إمام فى الكونيات، بحسب أنه كتاب علم، وخبرة، وحكمة - منزل من الله سبحانه على قلب رسوله الكريم - الذى مانطق إلا بما أوحى إليه به !! والحال كذلك فالمقرآن والسنة هما المرجعية المطلقة، أما العلم البشرى، المبني على فرضيات تخمينية، فلا يكتسب حجية إلا بما يتفق ومرجعيات القرآن والسنة.

﴿قالت رسلم أفى الله شك فاطر السموات والأرض﴾ (إبراهيم:١٤) .

﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة:٢:٣٢) .

ورحم الله الإمام مالك حيث قال: (لا أعلم شيئاً يُحتاجُ إليه إلا وهو فى الكتاب والسنة) . ومفاد القول، هو تسخير الحكمة الكونية والحكمة القرآنية لفقه الحياة المتجددة المتكاملة جمادياً وإجتماعياً،

ويقول تعالى: ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ وقوله الحق .

ونعرض لما جاء فى وصف القرآن فى القرآن، وكذا لما جاء حول السنة النبوية فى القرآن، كما نعرض لخلق الله للكون، وما فيه، ومن فيه، وأخيراً نخرج سريعاً على تهية الكون للحياة فى القرآن، ونقرن ذلك بعرض للإشارات القرآنية فى إعجاز الخلق والتسخير والتدبير الكونى، ونعرض للماء، والروح والحياة الكونية، ونتناول دراسة معرفية للزمان، والنسبية فى القرآن.

ولما كانت حياة الذرة تشابه حياة المجرة - أصبح لزاماً علينا دراسة الكون

فى منظومات كلية جامعة٠٠ تؤثر وتتأثر مكوناتها بعضها ببعض٠
ونقصر المنظومات الكلية الجامعة بقدر الإدراك على منظومتين أرضية
وسماوية٠٠ بمنظور إسلامي٠٠ بإشارات كونية، من القرآن الكريم٠
ويشتمل أول باب على فصلين: الأول يورد تعاريف ومفاهيم وردت فى آيات القرآن
عن: الكون، والقرآن، والسنة، والخلق الكونى العام، والوحدانية٠٠ والفصل
الثانى يعرض لآيات القرآن المتضمنة الإنشاء والخلق والتسخير والتدبير فى
الكون٠٠ ومن مشتملاتهما:

الفصل الأول: الكون والتوحيد٠٠ ومن مشتملات هذا الباب:

- ٠١ الكون٠
٠٢ علم الكون والقرآن٠
٠٣ القرآن كتاب علم وخبرة وحكمة٠
٠٤ علم الله فى القرآن٠
٠٥ سنة رسول الله ﷺ هداية٠
٠٦ من خلق السموات والأرض٠
٠٧ من خالق الإنسان وهاديه ورازقه٠
والفصل الثانى: الإنشاء والتسخير والتدبير الكونى فى آيات القرآن فنستله
بالسؤال القرآنى:

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها
وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال
أرساها، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ (النازعات: ٧٩: ٢٧-٣٣)

﴿أفرأيتم النار التى تورون، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾
(الواقعة: ٥٦: ٧١، ٧٢)٠

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون، أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾
(الواقعة: ٥٦: ٦٨، ٦٩)٠

﴿أفرأيتم ما تحرثون، أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ (الواقعة: ٥٦: ٦٤)

﴿أفرأيتم ما تمنون، أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ (لواقعة: ٥٦: ٥٨، ٥٩)

بهذا كان السؤال القرآنى حول خلق السماء وسنن الخلق فيها؟! وحول نشأة
المجموعة الشمسية وسننها الكونية وطاقاتها المتجددة؟! وحول إنزال الماء٠٠
وتتابع دورات الماء العذب فى الكون؟! وحول الزراعة٠٠ أساس الأساس فى
الحياة كلها؟! وحول الخلق البشرى؟! وفى الاجمال حول كل الخلق (كل شىء)؟!
وبداية نحن نشهد أن الله هو الخالق ﴿خالق كل شىء﴾، المنشئ للاكوان،
المنزل للماء من السحاب، وهو الزارع أصلاً٠٠ ونحن الحارثون الزارعون
مجازاً٠٠ وهو الخلاق العظيم٠٠

وبداية نقول أن كل ما أنشأ، وخلق، وسخر، وأنزل، وزرع، وأبدع.. على الهيئة التي نراها وندركها.. فهو كوني في الاجمال وفي التخصص.

وجاء السؤال القرآني الخاص بخلق الأرض في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (فصلت: ٤١: ٩)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.. حقاً وصدقاً.

وإنشاء الكون أو خلقه معناه إبداع خلقه من لا شيء ﴿بديع السموات والأرض﴾.. ومن هذه البداية الإبداعية للخلاق العزيز العظيم.. تجلى خلق الماء، وخلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فيهما، ومن فيهما.. فهو الأول، وهو الآخر.. وما كان الخلق إلا بالحق ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾.. والله ﴿خالق كل شيء﴾ خالق الزمان حيث لم يكن.. ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار﴾.. وخلق الكون في ستة أيام، ثم إستوى إلى السماء، وإستوى على العرش.. يدبر الأمر في الكون..!! ﴿ألا له الخلق والأمر﴾.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

والله سبحانه وتعالى سخر الكون.. سخر كل المخلوقات.. كل ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما، ومن فيهما.. لإسعاد الإنسان - خليفة الله في الأرض!.. ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ و ﴿سخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ و ﴿وما بينهما﴾ !!

وقد يشغل بال الانسان.. بوجه عام.. مسائل خلق الكون.. فيما يخص خلق السموات، والأرض، وما بينهما، وخلقهما بالحق، وزمن الخلق!..

من هنا نحن مطالبون بدراسة الكون والتعرف على قوانينه، وقوانين الحياة فيه، وسنته، وسنن إستقرار الحياة، ومطالبون أيضاً بدراسة أسباب الفساد في الأرض.. وما يتبعه من إختلال ودمار!..

ويشغل بال غير المسلم فيما يخضعه للرصد والمشاهدة الأمر الإلهي ﴿كن فيكون﴾ وأسرار الخلق والخلق!..

والتسخير الكوني في شتى المظاهر الكونية يعني أننا مكلفون بالارتفاق والانتفاع بكل ما خلق الله وسخر!.. ومن هنا فقد كان للزمن، ولعناصر الكون، وللسبح والحركة، وللسكون والنسبية مكان بارز في آيات القرآن.. وهذا مانعرض له فيما بعد.. تحت مسمى.. النسبية في القرآن!!

والحال كذلك فالمنظومة الكونية.. خلق، وتسخير، وتكليف بالارتفاق والانتفاع بمكوناتها.. حيث أوجدها سبحانه وتعالى بكمال وتمام إبداعه.. ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

ونعرض لبدء الخلق العام.. السموات والأرض، والماء والحياة، والخلق بالحق، وزمن خلق السموات والأرض. ونعرض للتسخير، والتكليف بالارتفاق، والتدبير الكوني الشامل وهو ما يعرف قرآنياً بتدبير الكون ﴿يدبر الأمر﴾.. ﴿ألا له الخلق والأمر﴾؟! ومن مشتملات هذا الفصل:

- | | | | |
|-----|---------------------------------|-----|-------------------------------|
| ٠١ | الانشاء الكوني في آيات القرآن. | ٠٢ | السموات والأرض في القرآن. |
| ٠٣ | بداية خلق الكون. | ٠٤ | ﴿وهي دخان﴾. |
| ٠٥ | ﴿إئتيا طوعاً أو كرها﴾. | ٠٦ | تزيين السماء الدنيا. |
| ٠٧ | السماء متعددة في الخلق. | ٠٨ | الرتق والفتق في القرآن. |
| ٠٩ | السماء مرفوعة بعمد لانراها. | ٠١٠ | الإستواء على العرش. |
| ٠١١ | وكان العرش على الماء في القرآن. | ٠١٢ | بدء الحياة الكونية في القرآن. |
| ٠١٣ | اعجاز خلق الانسان. | ٠١٤ | في الفضاء حياة. |
| ٠١٥ | الاقلات من مجال الأرض. | ٠١٦ | خلق الكون بالحق في القرآن. |
| ٠١٧ | زمن الخلق الكوني في القرآن. | ٠١٨ | إبداع الخلق الكوني. |
| ٠١٩ | ﴿يقول كن فيكون﴾. | ٠٢٠ | ﴿يقول له كن فيكون﴾. |
| ٠٢١ | اليوم والالف سنة في القرآن. | ٠٢٢ | التسخير الكوني في القرآن. |
| ٠٢٣ | التدبير الكوني في القرآن. | ٠٢٤ | من مظاهر التدبير الكوني. |
| ٠٢٥ | هو الله. | ٠٢٦ | من واحة الايمان. |

- ولخصنا مضمون هذه الدلالات الكلية على أنها هي الأدلة المادية على وجود الله ووحدانيته! وأضفت للقوم أن الكون أنشئ من عدم وإلى الأجل المحدد.. وان نظرية النشوء والارتقاء ولدت ميتة في المفاهيم الإسلامية الصحيحة.. وسبحان الله فإن الغرب الذي طَنَّ لها.. عاد وكَفَّتْهَا وأُبْنَهَا بِشْرِ النِّوَا ح.. ولاشك أن إشارات القرآن تدل بواضح الدلالة الحققة على أحدث ما في الكون من علوم فضائية وطبيعية ونسبية.. وكما التسخير إنتظام وإستمرار واضطراد فإن التدبير ملك وملكوت يتفرد بهما المولى سبحانه وتعالى لا شريك له.

- سأل ولدي: وماذا عن الباب الثاني في الأجندة!؟

- قلت: يا ولدي! الباب الثاني.. المنظومة السماوية في القرآن:

والمنظومة السماوية في الأصل هي عبارة عن السموات، والمجرات، والبروج، والنجوم، والكواكب، وما بينهما.. من شهب ونيازك.
 ونعرض للمنظومة السماوية من حيث التسخير والتكليف بالارتفاق.. بدلالة الزمن .. ﴿وكل في فلك يسبحون﴾، وللأجل الإلهي المقدر.. ﴿كل يجري إلى أجل مسمى﴾.. ونعرض للمنظومة السماوية من ناحية الانزال والتنزيل: (الماء، الارواح، الارزاق، البيئات، الحديد، الرسائل والكتب، الملائكة والروح القدس) وترتبط المنظومة السماوية بخلق الزمان.. فالزمان خلق من عدم ﴿خلق الليل والنهار﴾، وللأجل المحتوم ﴿لكل أجل كتاب﴾، ومدد الزمان فترات وأثناء، ونهايته آجال.. لذلك أصبح لزماً علينا أن نعرض للزمان في آيات القرآن.
 ولما كانت الدلالات الكونية على الزمان نحددها بضوء الشمس والقمر والنجوم.. فنعرض لهذا كله إن شاء الله ضمن ما نعرض.

وخلق الله الزمان يوم خلق السموات والأرض والشمس والقمر.. ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار وسخر الشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ (الأنبياء: ٢١-٢٣)
 ولكل هذا كانت لعناصر الكون سرعاتها الذاتية والنسبية.. فلكل شيء في الكون مكانه، وزمانه، وسرعته الذاتية، وسرعته النسبية - كأثر لزمانه، ولمكانه ولحركته، ولتجاذبه ﴿وكل في فلك يسبحون﴾!! وهذا جوهر النسبية ببساطة شديدة!..
 فالحركة، والمكان، والزمان من خصائص كل شيء من مخلوقات الله، والنشء الساكن له مكانه وزمانه، أما سرعته فمعدومة.. وللنظرية النسبية مكان بارز في الآيات القرآنية، وذلك بحسب أنها تعالج وحدة الزمان - المكان، وتعالج وحدة الزمان - المكان - الكتلة - الطاقة، وكلها في الأساس يعتمد على السرعة، والتي هي زمان ومكان.. والنسبية في القرآن وردت في العديد من النصوص، أقربها:
 ﴿إن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾!! (الحج: ٢٢: ٤٧).

وجوهر السرعات الكونية سرعة الضوء.. والضوء هو القاسم المشترك الأعظم للمنظومة السماوية للنجوم والكواكب والأقمار!!.. وبالذات لنجوم البروج والشمس والقمر وجميعها تتعب دوراً حياتياً هاماً لمن على ظهر الأرض!!
 وتلخيصاً إذا كانت الروح من السماويات. والماء منزل من السماء، وخلقها سابق لخلق السموات والأرض.. ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾.. فنعرض للروح والماء والانزال والتنزيل.. (الارزاق، الكتب السماوية، الحديد) ضمن المنظومة السماوية..
 وفي الإجمال نعرض للمنظومة السماوية المادية في القرآن لكل الكونيات التي

تعلو الأرض، نعرض للسموات، والمجرات، والنجوم، والشمس، والقمر، ونعرض للزمان، وللنسبية في القرآن، نعرض آيات القرآن الكونية فيما يخص خلق الكون المادى وتسخيرها، كما نعرض لخلق وحياة الانسان فى آيات القرآن بحسب أن خلق آدم عليه السلام سماوى، عرضنا لهذا كله فى ستة فصول:

- الفصل الأول: السموات والأرض والحياة .
- الفصل الثانى: الزمان فى القرآن.
- الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن.
- الفصل الرابع: النظرية النسبية فى القرآن.
- الفصل الخامس: النجوم والبروج فى القرآن.
- الفصل السادس: المنظومة السماوية فى التاريخ الإسلامى وفى العلم.

- الباب الثانى - الفصل الأول: السموات والأرض والحياة الكونية، يشمل:
 - ٠١ السموات والأرض والحياة الكونية، ٠٢ السموات والأرض السبب والغاية، ٠٣ عظمة الخلق دليل الوجدانية، ٠٤ السماء والحياة الكونية، ٠٥ السماء وبروجها وشمسها وقمرها، ٠٦ الإنزال والتنزيل، ٠٧ الروح والحياة الكونية، ٠٨ الحياة التامة والكون، ٠٩ الولاية لله، ٠١١ ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾

الباب الثانى - الفصل الثانى: الزمان فى القرآن، ومشمئلاته:

- ٠١ الزمان، ٠٢ خلق الزمان فى القرآن، ٠٣ وظيفة الزمان فى القرآن، ٠٤ القبلىة والبعدية فى القرآن، ٠٥ الآن فى القرآن، ٠٦ زمان الكائنات فى القرآن، ٠٧ الأجل نهاية زمن، ٠٨ التوقيت الهجرى والميلادى، والباب الثانى الفصل الثالث: المجموعة الشمسية فى القرآن، ومشمئلاته:
 - ٠١ زمان خلق الشمس والقمر، ٠٢ آية تسخير الشمس والقمر، ٠٣ حركة الشمس، ٠٤ وظيفة الشمس الكونية، ٠٥ الشمس والأذان للصلاة، ٠٦ الخلايا الضوئية والسخانات، ٠٧ طاقات الشمس، ٠٨ الشمس والعلم الحديث، ٠٩ القمر فى القرآن، ١٠ وظيفة القمر الكونية، ١١ المد والجزر، ١٢ المجموعة الشمسية.

الباب الثاني الفصل الرابع: النظرية النسبية في القرآن ٠٠ ومن مشتملاته:

- ٠١ نسبية أينشتاين.
- ٠٢ النظرية النسبية في القرآن
- ٠٣ سرعة دوران القمر حول الأرض.
- ٠٤ سرعة الضوء في القرآن
- ٠٥ أصحاب الفيل ونسبية أينشتاين.
- ٠٦ الرجفة والصيحة والنسبية
- ٠٧ سرعة عروج الملائكة في القرآن.

الباب الثاني الفصل الخامس: النجوم والبروج في القرآن ٠٠ ومشتملاته:

- ٠١ النجوم والبروج في القرآن.
- ٠٢ النجوم التسخير والوظيفة.
- ٠٣ النجوم والسجود والعبادة.
- ٠٤ النجوم والقسم القرآني.
- ٠٥ أفلاك النجوم في القرآن.
- ٠٦ عبادة الكواكب والنجوم.
- ٠٧ الشهب والنيازك والكسف.
- ٠٨ البروج في القرآن.

والباب الثاني الفصل السادس: المنظومة السماوية في التاريخ الإسلامي (علم الفلك الإسلامي).

وعلى كل حال فمعلومات البشر عن المنظومة السماوية تكاد تكون معدومة!! أو بالأصح فقيرة جداً جداً!! وإن هُبِئَ للبعض غير ذلك!! لكنها النسبية بين المعارف والعلوم والأزمان والبلاد والعباد!!

- سأل ولدي الأكبر: هلا ننتقل إلى حيث معارف البشر في منظومة الأرض؟! - قلت : يا ولدي! أنت واهم يا ولدي! وكثيرون مثلك ٠٠ يتصورون أن البشرية قطعت شوطاً كبيراً في علوم الأرض والحياة ٠٠ لكن تأكدوا يا قوم! أن العلم يقفز العلم قفزات سريعة ٠٠ لكنه ليس مُتَشَبِعاً بالمعارف ٠٠ أو حتى مُرَضِياً ٠٠! فالبشرية بين الآنة والأخرى ترتبك أمام أبسط ظواهر الكون الأرضية ٠٠ وعلى كل حال فالبشرية حققت بعض التقدم الجزئي في بعض المعارف لمنظومتنا الأرضية!!

ونستهل الباب الثالث: المنظومة الأرضية والحياة في القرآن - بقول الله تعالى:
﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ (الذاريات: ٥١: ٤٨) ٠٠ وقوله تعالى: ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الأعراف: ٧: ٢٥)
وفرشناها: أي جعلناها ممهدة مذللة حتى يستطيع الانسان العيش فيها ٠٠ منتفعاً بكل خيراتها ﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً﴾ ٠٠ وفي الارض المعاش ٠٠ وفيها الممات ٠٠ ومنها البعث ان شاء الله ٠٠ ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ (الأعراف: ٧: ٢٥).

والأرض بيضاوية، زيتونية الشكل، معلقة في الفضاء الكوني ومتوسط

قطرها ١٢٧٤٠ كيلو متر، ومتوسط محيطها ٤٢٠٠٤٢ كيلو متر، ومساحة سطحها ٥١٠ مليون كيلو متر مربع، وحجمها أكثر من مليون مليون كيلو متر مكعب، وكتلتها بما يعادل ٦٦٠٠ مليون مليون طن.

ويغطي سطح الأرض ٧١٪ بحار ومحيطات، بسمك متوسط ٤ كيلو متر تقريباً. ويحيط بها غلاف جوى يصل سمكه لقرابة الألف كيلو متراً. وإن كان لا يكاد يحس به وبضغفه فوق إرتفاع ٤٠ كيلو متر من سطح الأرض !!

والحياة على الأرض يقصد بها الحياة على اليابس ٢٩٪، وفي البحار والمحيطات ٧١٪، وتحت سطحهما، وبتأثيرات هوائهما وشمسهما. وتنظم وتتنظم هذه الحياة الأرضية في صور نباتية، وحيوانية، وبشرية. والحياة النباتية يندرج فيها حوالي ٤١ مليون نوع من أنواع الحياة النباتية، وأما الحياة الحيوانية فيندرج فيها نحو مليون فرع !!

والله وهب الأرض في ذاتها حياة كونية خاصة. فالأرض في حركة دائمة دائبة، والمجرات، والنجوم، والكواكب، والشمس، والقمر، والضوء، والرياح، والمواد في مختلف أشكالها الصلبة والسائلة والغازية - في حركة نسبية دائمة دائبة لاتتوقف في كون الله الفسيح !!

وقد تتساوى يابسة الأرض وبحارها في أن بكليهما مساحة صحراوية، أو شبه صحراوية، من حيث مقدار الحياة البيولوجية. فإذا كان تساقط الماء على اليابسة ٤٠ سم أو أقل من التساقط السنوي فإن النباتات تكون مبعثرة وخشنة. في حين إذا كانت الأمطار غزيرة فتغزر النباتات. وقد يتحدد غياب الحياة البيولوجية ليس فقط لندرة الماء، ولكن أيضا بندرة عنصر الفوسفور. و التصحر في البحار والمحيطات مرده إلى غيبة الكربون، والنتروجين، والنترات - وهذا يعوق التكاثر. وهناك العديد من الميكروبات المائية، وأهمها الطحالب الخضراء المزرققة، والتي بها مجموعة من الأنزيمات، قادرة على الإتحاد بالنتروجين المذاب في الماء، والمأخوذ من الهواء، مع عناصر أخرى - لتكوين مركبات بيولوجية صالحة للاستخدام. وإذا كان الفوسفور متوافرا في الطبقات العليا من البحار، فإنه يبدو بعيد الاحتمال، وإن الأزوت المثبت، والخضراء المزرققة، وغيرها من الكائنات تعجز عن غزو هذه البيئة.

وفي الإجمال فإن مادة الحياة على اليابس الأرض أكثر وزناً نوعياً، وتكثيفاً نسبياً عنها في البحار، والمحيطات - في الوقت الراهن - لأن البشر لم يتدخلوا بمجهودات منظمة لزراعة المياه المالحة !!

ونعرض لأمر التهيئة الكونية للحياة فى الأرض يابساً، وبحراً.. ونبدأ بحياة الأرض تسخيراً، وتدبيراً من المولى سبحانه لإحيائها بالنباتات، وبالذواب، وبالطيور، وبشئى مظاهر الحياة لخدمة بنى البشر.. فمن الأرض كانت النشأة.. وهى المستقرة.. والأرض تحيا وتموت.. وأرض الله واسعة.. ﴿وفى الأرض آيات للموقنين﴾. وقد حظيت نشاطات الانسان فى الأرض بنصيب وافر من آيات القرآن بين زرع، وحرث، ورى، وحصاد، وتخزين، واستقرار، وهجرة، ونقل، وانتقال، وإعمار، وحضارات حول الانهار وعند مصباتها، وإرتفاق الانسان للبحار من نقل، وإنتقال، وصيد، وتعددين، واستغلال لطاقات المدّ والجزر، وطاقات الرياح على السواحل!

ومن حيث أن الكربون هو القاسم المشترك الأعظم للغذاء والكساء.. فنعرض للكربون فى الكون والقرآن!

ونعرض للجبال فى القرآن، والغلاف الجوى، والرياح فى القرآن، والسحاب فى القرآن، والزلازل والبراكين فى القرآن!

كما نعرض لعلوم المنظومة الأرضية فى التراث الاسلامى، وللفساد فى الأرض والبيئة من وحى لطائف الإشارات فى آيات القرآن الكريم! ويشمل الباب الثالث على عشرة فصول:

الفصل الأول:	الأرض والحياة فى القرآن.
الفصل الثانى:	البحار والحياة فى القرآن.
الفصل الثالث:	الكربون فى الكون والقرآن.
الفصل الرابع :	الجبال فى القرآن.
الفصل الخامس:	الغلاف الجوى.
الفصل السادس:	الرياح فى القرآن.
الفصل السابع:	السحاب فى القرآن.
الفصل الثامن:	الزلازل والبراكين فى القرآن.
الفصل التاسع:	المنظومة الأرضية فى التراث.
الفصل العاشر:	الفساد فى الأرض.

الباب الثالث - الفصل الأول: الأرض والحياة فى القرآن.. ومشمولاته:

- | | |
|--------------------------------|---------------------|
| ٠١ الحياة فى الأرض. | ٠٢ النشأة من الأرض. |
| ٠٣ خلق لكم ما فى الأرض جميعاً. | ٠٤ أرض الله واسعة. |
| ٠٥ إحياء الأرض. | ٠٦ فى الأرض آيات. |

- ٠٧ خلق الزرع،
 ٠٩ استخلاف الانسان فى الأرض،
 ٠١١ خلق الانعام،
 ٠١٣ استصلاح الأراضى فى القرآن،
 ٠١٥ بدء عصر الماء،
 ٠١٧ الأرض الجديدة والتهجير،
 ٠١٩ الرزق اللدنى،
 ٠٢١ الاستزراع فى القرآن،
 ٠٢٣ حرث الأرض فى القرآن،
 ٠٢٥ الحصاد فى القرآن،
 ٠٢٧ الانعام والطاقت الحيوانية،
 ٠٢٩ حضارات الأنهار فى القرآن،
 ٠٨ خلق الحدائق،
 ٠١٠ الانسان والزراعة،
 ٠١٢ الانسان يهيبء الأرض للحياة
 ٠١٤ الاستصلاح والاستزراع،
 ٠١٦ تسوية الأرض ومد الطرق،
 ٠١٨ الهجرة أجدى وأنفع،
 ٠٢٠ استزراع الأرض،
 ٠٢٢ زراعة الأرض فى القرآن،
 ٠٢٤ الرى فى القرآن،
 ٠٢٦ التخزين فى القرآن،
 ٠٢٨ التخطيط العمرانى فى القرآن

- والباب الثالث - الفصل الثانى: البحار والحياة فى القرآن، ومشمئلاته:
 ٠١ البحار والحياة،
 ٠٣ تنجيم البحار،
 ٠٥ الملاحة البحرية فى القرآن،
 ٠٧ حركة من الشرق الى الغرب،
 ٠٩ المستقبل وغذاء البحر،
 ٠١١ مروج البحرين،
 ٠١٣ البحر مشارك أصيل فى حياة الأرض
 ٠١٥ الكربون والبيئة البحرية،
 ٠١٧ المنشآت البحرية،
 ٠١٩ مولد ثانى أكسيد الكربون،
 ٠٢ البحار آية كونية،
 ٠٤ كيف تكونت البحار،
 ٠٦ ثروات الخلجان،
 ٠٨ انتاج الطعام البشرى بتنمية
 الخلية الواحدة،
 ٠١٠ البحار فى القرآن،
 ٠١٢ البحر المرتوق،
 ٠١٤ طاقت البحار
 والمحيطات والخلجان،
 ٠١٦ البحر والجو آلة حرارية،
 ٠١٨ الكيمياء البحرية للكربون
 والحرائق،
 ٠٢٠ دعوة مفتوحة،

- والباب الثالث - الفصل الثالث: الكربون فى الكون والقرآن، ومشمئلاته:
 ٠١ الكربون فى الكون،
 ٠٢ الكربون فى القرآن،

- ٠٣ الطعام والكربون فى القرآن،
 ٠٤ المراعى فى القرآن،
 ٠٥ الحبوب فى القرآن،
 ٠٦ الخضروات،
 ٠٧ الخضروات فى القرآن،
 ٠٨ الفاكهة فى القرآن،
 ٠٩ التنفس والماء والغذاء (الكربون)،
 ١٠ الكربون والكساء فى القرآن

والباب الثالث - الفصل الرابع: الجبال فى القرآن، ويشمل:

- ٠١ تكوين الجبال،
 ٠٢ الجبال فى القرآن،
 ٠٣ خلق وتسخير الجبال،
 ٠٤ ﴿الجبال أوتاداً﴾،
 ٠٥ وبينهما برزخ لا يبغيان،
 ٠٦ وأخرجت الأرض أثقالها،
 ٠٧ الجبال والحياة،
 ٠٨ الجبال ويوم القيامة،
 ٠٩ الجبال والتسبيح والخشية والخشوع،
 ١٠ الجبال والمنظومة الحياتية المشاركة معها،
 ١١ الجبال واتزان الأرض،
 ١٢ الجبال والماء والغذاء،
 ١٣ الجبال والانشاءات المدنية،
 ١٤ الجبال والنحل والعسل،
 ١٥ الجبال والثمر والناس والدواب والانعام والالوان،

والباب الثالث الفصل الخامس: الغلاف الجوى،

والباب الثالث - الفصل السادس : الرياح فى القرآن، ويشمل:

- ٠١ الرياح،
 ٠٢ الرياح فى القرآن،
 ٠٣ الرياح فى القرآن،
 ٠٤ تأثيرات قوى الريح،
 ٠٥ الرياح والعلم الحديث،

والباب الثالث - الفصل السابع: السحاب فى القرآن، ومن مشتملاته:

- ٠١ السحاب فى القرآن،
 ٠٢ نشأة السحاب فى القرآن،
 ٠٣ أنواع السحاب،
 ٠٤ إنزال الماء،
 ٠٥ السحاب والعلم الحديث،
 ٠٦ الرعد والبرق،
 ٠٧ الرعد والبرق فى القرآن،
 ٠٨ السحاب والظل،

- ٠٩ السحاب يختزل الالوان.
 ٠١١ البرق يفقد البصر.
 ٠١٣ صواعق البرق والرعد.
 ٠١٠ الجو يدفأ عند سقوط الجليد
 ٠١٢ الرعد يفقد السمع.

- والباب الثالث - الفصل الثامن: الزلازل والبراكين فى القرآن.. ويشمل:
 ٠١ الزلازل والبراكين.
 ٠٢ الزلازل فى القرآن.
 ٠٣ الزلازل فى التراث الاسلامى.
 ٠٤ الزلازل والعلم الحديث.
 ٠٥ الأرض وزلازلها وأثقالها.
 ٠٦ الآثار الاقتصادية والاجتماعية
 للزلازل والبراكين
 ٠٧ رصد الزلازل والبراكين.
 ٠٨ الظواهر الغريبة لكوكب الأرض.
 ٠٩ الزلازل فى مصر

والباب الثالث - الفصل التاسع: علوم المنظومة الأرضية (الجغرافيا والجيولوجيا) فى التراث الإسلامى.

- والباب الثالث - الفصل العاشر: الفساد فى الأرض.. ويشمل:
 ٠١ الفساد فى الأرض.
 ٠٢ الإختلال فى الأرض.
 ٠٣ تدمير طبقة الأوزون.
 ٠٤ الإختلال البيئى.
 ٠٥ الأعاصير والفيضانات.
 ٠٦ الأعاصير الاستوائية
 ٠٧ ظاهرة الإختلال الجوى - النينو.
 ٠٨ جداول بالأعاصير والفيضانات
 ٠٩ ظاهرة المطر الحامضى.
 ١٠ الإختلال والفوضى والدمار.
 ١١ هل الغلاف الجوى مختل.
 ١٢ عالمية الاجراءات.
 ١٣ قمة الأرض.
 ١٤ ميلاد حضارة.

- سألت ابنتى: وماذا عن فئزو الفضاء ؟!

- أجبت: يا بنيتى! فى مدارستنا هذه (الأجندة) يحوى الباب الرابع علوم الفضاء فى القرآن.. ففئزو الفضاء فى العصر الحديث هو ناتج تطبيقى لتقدم العلوم، وهو مرادف للتجارب العلمية للعلوم التطبيقية التكنولوجية - بغض النظر عن النظم السياسية.. والبشرية يشغلها ارتفاق كل مافى الأرض: الزرع والحصاد، وتدبير الغذاء، والكساء والسكن والإنتقال، والنقل والرعاية الصحية. ويشغلها كذلك حصر الموارد وتصنيعها وتسويقها.. والبشرية مهمومة

بنظم التعليم والتدريب والتعلم فى جميع بقاع الأرض، مضافا إلى كل هذا أن الفضول المعرفى، والمعارف الثقافية، عظمت من شأن دور الإعلام، والإتصال والتنمية والتغيرات الإجتماعية.. وأضحى المجتمع رهين فاعليات الأجهزة فى الإنتاج، والتعليم والبحث العلمى، والتدفقات التحويلية، ومقدرة الجهاز الإدارى فى الدولة على تنظيم المدخرات الوطنية وتوجيهها للاستثمار، وفتح أسواق تجارية والحفاظ عليها.. مجتمع متوافق الأوار.. بين الأفراد والجماعات والقيادات وحتى السفراء والعلماء والحكماء والقادة.. وإن الذخائر الأدبية والاجتماعية والاخلاقية تثرى بالقديم.. وتثرى القديم فى آن واحد.. وأما العلوم التكنولوجية الحديثة فهى تبلى كل يوم وتتطور فى كل لحظة.. وعلى هذا فإن إستنهاض أمة إلى الطريق التكنولوجى.. قد لا يأخذ إلا عدة سنوات قليلة! والعكس من هذا فإن الإستنهاض الحضارى.. أو المسخ الحضارى.. يأخذ أجيال وأجيال لأن الأبعاد الحضارية تعيش فى وجدان الشعوب! والتحدى وتحمل المسؤولية قد يعجلا من الإستنهاض الحضارى.. أما الإفلات من براثن الثورة التكنولوجية، فيتأتى بالبساطة الاختيارية، وبلغة أهل الإجتماع النزول (التدنى) بحدود الإشباع: من مأكّل وملبس ووسائل ترف، مع الإرتفاع قدر الطاقة بالمدخرات الوطنية وتوظيفها فى التعمير والتنمية.. مع توظيف الحكمة الإجتماعية فى موضعها الصحيح، بحسب أن الحكمة الإجتماعية لا تتقدم أبدا!!

- كل ماسبق يجعل من الأهمية بمكان.. وعلى الأقل فى الدول العربية مجتمعة.. دراسة القوى والثروات، ودراسة تقويم قوة الثروة أى قوة الموارد الطبيعية فى الأرض من مناجم ومزروعات، وثروات سمكية، وثروات حيوانية، وظروف وتغيرات مناخية.. وهذا يتطلب البحث فى طرق رصد وتوقع المحاصيل على المستوى الدولى، ومن الأقمار الصناعية التى تجوب العالم. والبحث عن ما يمكن التوسع فى زراعته، وكذا الأرض التى يمكن إستصلاحها وإستزراعها، وكذا المواقع البحرية التى يمكن زراعتها وصيدها.. وأشياء أخرى كثيرة كانت الأهداف الأساسية لبرامج الفضاء المعلنة.. ولنعيش ونتعرف على طريقة التفكير حول غزو الفضاء.. السبب والمهمة.. والهدف التنمية والقوة!!

- فى سياق التقويم العلمى لمجهودات وكالة ناسا للفضاء كتب دون باترسون يقول: (إن الفوائد الجوهرية التى نتجت عن الجهود الأمريكية فى الفضاء هى

حتى الآن فوائد علمية، فقد إكتسبت علوم الفلك والفيزياء الشمسية والإستكشاف مكاسب جمة. وحدد الفلكيون وصنفوا عدداً كبيراً من مصادر الأشعة فوق البنفسجية وأشعة إكس وجاما. كذلك اكتشفوا نجوم الكواसर والبولسار وتوصلوا إلى نظريات جديدة أحياناً ما كانت تثير الجدل حول أصل وشكل قوانين الكون. وبالبحث فى الفيزياء الشمسية تكونت فروض حول تكوين وطريقة عمل الشمس وعلاقتها بباقى العناصر الفلكية. وقد قاد البحث فى الفيزياء الفضائية إلى اكتشاف أحزمة (فان ألن) والغلاف الأيونى المشع، وهالة الشمس الأيدروجينية، والبلازما، والمجال المغناطيسى، وصدّات الإلتواء، والذيل المغناطيسى والإشعاعات المحبوسة، والرياح الشمسية، والمجال المغناطيسى لما بين الكواكب. وإن اكتشاف القمر والكواكب قد عاد بكنز من المعلومات العلمية الجديدة.

وإن مقدار التقدم العلمى عن أول نشاط فضائى منذ ٣٢ سنة (١٩٦٠م - ١٩٩٢م) لانتظير له فى الغالب فى أى فترة مماثلة فى التاريخ البشرى. ومن سوء الحظ فإن هذا التقدم إحتاج إلى وقت طويل لكى يؤثر فى حياة رجل الشارع الذى لم يتحمس له. وإن الوظائف الطاغية لاستمرار نشاط بحوث الفضاء من المحتمل ألا تكون علمية فى طبيعتها. ولاشك أن البشرية تحتاج إلى نظرة جديدة شاملة حتى تستطيع التعامل مع مشاكل السكان والإسكان. والإتصال والمواصلات. والزراعة والصناعة. والتعدين والطاقة مع تضاؤل الأرض والمعادن والماء، وكذلك مع البيئة الطبيعية التى تنقرض ببطء. ولاشك أن مراقبة الأرض لا بد أن تحدد هندستها وخواص السطح وصفاته، وخواص جسمها الديناميكى، وتفتح الطريق أمام فهم فيزياء الطقس والتنبؤ بالأحوال الجوية، والتغيرات الجوية والمناخية. وإدارة المصادر الطبيعية والبيئية. ذلك بالإضافة إلى شبكة الإتصالات العالمية الإقتصادية. وأقمار الأحوال الجوية، والتى تجمع معلومات عن السحب مما يساعد على تكهنات بالطقس تتسم بالدقة. وكما وإن المراقبة الحرارية ربما تساعد على التنبؤ بالزلازل المدمرة!

- إن النظر والتدبر إلى الأرض من الفضاء يحقق العديد من الفوائد الإجتماعية والسياسية. والجامعة العربية ومنظمة العالم الاسلامى مطالبون بقيام نشاط تنسيقى مشترك لدولهما فى مجال بحوث الفضاء. والاسلاميون

- مبشرون بالسيادة فى هذا المجال (لتركبن طبقاً عن طبق)٠٠ ونحن نحن المخاطبون
بالآية٠٠ ويشمل الباب الرابع على مايلى:
- ٠١ النظرة الفضائية فى القرآن، ٠٢ ألم تر٠٠!!
- ٠٣ المجموعة الشمسية، ٠٤ غزو الفضاء فى العصر الحديث
- ٠٥ الأقمار الصناعية، ٠٦ مكوك الفضاء،
- ٠٧ تلسكوب الفضاء، ٠٨ برنامج مكوك الفضاء،
- ٠٩ الأرصاد الجوية والفضاء، ١٠ الأرصاد البيئية،
- ١١ الأرض من الفضاء، ١٢ الكون والعلم الحديث،
- ١٣ المجرات الكونية والعلم، ١٤ إعجاز رفع السماء والعلم الحديث،
- ١٥ العلم ولغز أصل الكون،

- يا بنيتى ! الدراسات الكونية تكليف إسلامى شأنها فى ذلك شأن باقى
الدراسات التعليمية والتدريبية٠٠ ومن حيث أن إعمال آيات النظر والتدبر فى
الكون والقرآن فريضة إسلامية٠٠ فينبى على ذلك أن التفكير فريضة إسلامية٠٠
وبالتبعية فإن التعليم والتدريب والعمل وفى مختلف المهن والحرف والنشاطات
المباحة شرعاً من ضمن الفرائض الإسلامية٠٠ والزراعة فريضة إسلامية٠٠
وإستصلاح الأراضى واحياء الموات والاستزراع فرائض إسلامية٠٠ والتجارة
والتعدين والتنجم والتصنيع فرائض إسلامية٠٠ والسياحة -٠٠ بقصد التعليم
والتعلم وإستيعاب العبر والتعرف على الشعوب والنقل الحضارى٠٠ - فريضة
إسلامية٠٠ والمدارس التاريخية لحياة الأمم والشعوب والأفراد والجماعات
وزمانهم وظروفهم وبيئاتهم فريضة إسلامية كذلك٠٠ وبإختصار شديد فإن كل
النشاطات البشرية النافعة تنطوى تحت لواء التكليف الفرائضى الإسلامى !!

- أى أننا مكلفون بالإرتفاق والإنتفاع بكل ما فى الكون٠٠ وهذا لايتأتى إلا
بدراسات كونية متعمقة٠٠ وإذا كانت آيات النظر والتدبر فى القرآن وردت
بنصوص أمرة مسيراً ونظراً وإعمالاً لكل الحواس والشعور والمهارات وطاقات
الأداء البشرى٠٠ فالأمر والحال كذلك تكليف إسلامى٠٠ لاخيار فيه٠٠ فى شتى
مجالات الحياة٠٠ فى شتى المؤسسات البشرية المعروفة من حضانة الطفل
ومدرسة القرية والمسجد والمعهد والجامعة٠٠ وفى مختلف أماكن العمل من أى
موقع وحتى الأمم المتحدة ومجلس الأمن٠٠ وفى شتى بقاع الكون٠٠ اليابس

والبحر والنهر والمنجم والبرق والجبل والغلاف الجوى و أفلاك ومكونات الفضاء الخارجى !!

نحن مكلفون بالارتفاق والانتفاع من مختلف ظواهر سطح وباطن الأرض، والظواهر الفلكية، ومختلف ضروب نشاطات الحياة فى كون الله الفسيح !!

- وهذه المنظومة من التكاليف الإسلامية مسئولية الفرد والأسرة والمجتمع وولاية الأمور.. أى أنها مسئولية جماعية !! ومردودها إن سلباً أو إيجاباً جماعى بصفة الأساس ذاتى بالتبعية.. !! ومن خجل فإن موقعنا الإسلامى من هذا الفقه الحياتى تحت حدود الفقر فى كل شىء !!

- أما فقه العبادات والمعاملات فما أسهله وما أيسره وما أخفه فى الأداء.. مردوده ذاتى بصفة الأساس عام بالتبعية.. ومن أسف أننا حتى فى هذا فرق وشيع بين متشيع ومتصوف وسنى.. أشعلنا النار فى الجسد الإسلامى الضعيف.. حروب هنا وحروب هناك وتصفيات عابثة للمال والسلاح والموارد والشباب المسلم.. ومشاكل حدود بين الدول الإسلامية.. وإنقسامات يندى لها الجبين داخل الأوطان والمجتمعات وحتى فى الأسر المسلمة!!

- ومن الأسباب الرئيسية لكل هذه الظواهر هو غيبة الوعى العام عند المسلمين.. وتجزئى السنن الكونية والقرآنية.. وشل فعاليات سنن كونية مهمة من هذه السنن سنة التسخير والارتفاق والانتفاع.. وسنة الأجل.. وسنة التداول الحضارى.. وسنة التدرج فى المجال الاجتماعى والسياسى.. وسنة المدافعة !! أزمنا أزمة فكر.. فأين نحن من الحضارة الإسلامية؟؟ وأين أين نحن من الحضارة المعاصرة؟؟ !!

- أزمنا يا أحباب! هى أزمة ترك وإهمال للكونين الإلهيين.. كون الله المنظور.. وكون الله المسطور - القرآن الكريم !!

- أهملنا الموارد الكونية.. الانسان والأرض والماء والزرع والصناعة وإجادة الأعمال وأهملنا تعظيم القيمة للموارد المتاحة.. أهملنا تاريخنا وحضارتنا وكنوزنا فى المعارف الانسانية والاجتماعية.. أهملنا السياحة.. فى الاتجاهين.. نعرض ما عندنا، ونتعرف على ما عند الآخرين.. ننقل ونطوّر ونُحسّن

وَنَجُود !!

- أهملنا القرآن والسنة .. منهجا الكون الحياتي الكامل المتكامل .. ولنتأمل قول الله تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ (المائدة:٥: ٤٨) .. وقوله تعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾
(الأنعام:٦: ١٥٣)

- أزمنا ليست أزمة منهج .. أزمنا - أزمة فهم للكون بكيته !! .. وهى أزمة فهم للقرآن والسنة بشموليتهما !! .. غرقنا فى فقه العبادات والمعاملات .. وأهملنا فقه الكون والحياة !! ..

- ولما كان ذلك كذلك .. وجدت من النفع العام أن نطرح هذا الاطار فى بعض عناصر فقه الحياة .. بنظرات إطارية عامة بين الكون والقرآن والحياة !!

- وقد يرى البعض ونحن معهم - أننا فى مسيس الحاجة لقلق (أو تضيق) باب الإجتهاار فى فقه العبادات .. فللسلف والخلف فى هذا الفقه باع لايجارى ولا يضارع .. وعلينا وعلى شبابنا الإلتباع لا الإبتداع !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة التدرج فى المناهج الدينية فى فقه العبادات والمعاملات والأخلاق بما يتواءم مع سن المستهدف .. طفل، صبي، شاب، رجل - فى الحضانة والمدرسة والمعهد والجامعة .. فى الحقل والمصنع ومختلف الأعمال !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة ربط فقه الكون والحياة وما نزل بخصوصهما من نصوص قرآنية وأحاديث شريفة بالعملية التعليمية والعملية البحثية على حد سواء بما يساعد على ترسيخ القيم الجوهرية الصحيحة فى نفوس الجميع وبطريقة ذاتية .. وحسية ملموسة .. موضوعات إتفاقية بين الجميع .. المسلم والمسلم، وبينهما وبين غير المسلم !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إعمال وتيسير السبيل لآيات النظر والتدبير القرآنية والكونية بكل الوسائل المتاحة .. صورة، رسم، شريط فيديو،

شريط سينما، عرض فى نادى، عرض فى معمل، عرض سينمائي، عرض تليفزيونى .. رحلة ترفيهية، رحلة علمية، رحلة كشفية أو جواله .. دروس متخصصة، محاضرات عامة، ورش عمل، ندوات، مؤتمرات .. وسائل إعلام وتوعية الحضارة والمدرسة والجامعة، المسجد، النادى، الإذاعة، السينما، التليفزيون، الصحف والمجلات، والكتب، والمعارض !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة تقوية وتدعيم إزاعة القرآن الكريم بما يسمح بالتوسع فى البرامج الكونية القرآنية .. وتوزيعها على خريطة البرامج اليومية .. مع التوازى فى التوسع فى البرامج الكونية القرآنية فى مختلف الإذاعات والقنوات التليفزيونية العاملة .. محلياً وفضائياً .. فى مصر وفى الوطن العربى .. بحسب وحدة الثقافة واللغة والدين والتأثير والتأثر !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة إدخال الثقافة الكونية القرآنية - مادة أساسية فى المقررات الدراسية بالتعليم العالى الخاص والحكومى .. معاهد وكليات وجامعات !!

- ويرى البعض ونحن معهم - ضرورة أن تتولى مؤسسات التعليم والشئون الدينية والشباب والثقافة ووزارات الإنتاج والخدمات الاهتمام بنشر الوعي فى خصوصية الفقه الكونى القرآنى فى الجوانب التطبيقية فيما يخص نشاط جهته !! وصولاً إلى تكاملية النشاط !! وعلى أن تقوم مؤسسة التعليم والأزهر الشريف بالمسئولية التكاملية لإعداد معهد علمى يتخرج منه جيل من المدرسين المتخصصين فى التنشئة على الوعي الكونى وفقه الحياة .. تكون مهمتهم تدريس هذه الكونز الكونية القرآنية الاتفاقية فى إطار متكامل حتى نهاية التخرج من المدرسة أو الجامعة !!

- إذ ربما تُقَرَّبُ بموضوعات الفكر الكونى الحياتى القرآنى .. الفجوة بين فرقاء الاختلاف حول فقه العبادات، ونجمعهم حول مائدة إتفاق حياتية كونية قرآنية ؟!

- ناهيكم أن الاهتمام بالدراسات الكونية القرآنية تعتبر أراءً لتكليف معطل ومشلول فى واقعنا الإسلامى .. وهو أعمال فقه الحياة .. وربما تدفع هذه النوعية من الدراسات بنا الى التلاحم مع علوم وفنون وحرف العصر !!

- والرواد والفقير معهم .. إنما نحاول وضع العلوم والمعارف التطبيقية على أطراف الموائد القرآنية .. تتبدل الحواف المعرفية البشرية وتتغير مع تقدم الزمان .. ويبقى القرآن شاباً جديداً متجدداً معجزاً وحتى قيام الساعة !!

- أخيراً لعل هذا العمل ومضة نورٍ على طريق فقه الحياة وإرادتها .. ولعله إطار عقلي إيماني إتفاقي بين كل البشر مهما اختلفت نزعاتهم وثقافتهم وحتى أعمارهم ومهنتهم .. ولعله نسيج تكاليف عقلية حياتية بالانتفاع والارتفاق بعناصر الخلق الكوني، وصولاً لإعمار الكون وسعادة الإنسان وعزة الشعوب ..

على الله قصد السبيل .. والله الموفق والمستعان،

دكتور عبد الهادي ناصر

شبين الكوم .. ديسمبر ١٩٩٣م